الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون–تيارت–
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

موسومةبـ :

طاعون 749هـ/1348م ببلاد الأندلس وآثاره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية

اعداد الطالبتين:
- ✓ زوليخة دراق
- ✓ هدى قمو

إشراف:
د. فتيحة تريكي

لجنة المناقشة

أ.د.بوداود عبيد	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
د. فتيحة تريكي	أستاذة محاضر ب	مشرفاومقررا
د. نوارة شرقي	أستاذة محاضر ب	مناقشا

الموسم الجامعي 2024– 2025م

شكر وتقدير:

"بقلب ممتن وملئ بالامتنان ، نوجه إليكم أصدق كلمات الشكر والعرفان..."

أستاذتنا الفاضلة **"تريكي فتيحة"**، كلمات الشكر لا تكفي لتقدير جهودك المخلصة وتوجيهاتك القيمة التي كانت نبراساً ينير دروب العلم والمعرفة دمت ذخرًا للعلم وأهله.

لن ننسى فضلك ودعمك الذي كان خير عون لنا جزاك الله خيرًا على ما بذلت من وقت وجهد لإثراء عقولنا وتشجيعنا. إلى سيادة رئيس القسم نشكر لكم حكمتكم وقيادتكم الحكيمة التي جعلت من قسمنا منار للعلم والتميز بقدر جهودكم ودعمكم الدائم لطلابكم وزملائكم .

باسمي واسم زملائي ، نرفع أسمى آيات الشكر لسيادتكم على ما تقدمونه من توجيهات وإصلاحات تجعل قسمنا دائماً في الصدارة .

إلى قسم التاريخ العريق وخاصةً **"تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط"** شكراً لكم على ما تقدمونه من علم غزير وتراث فكري ثري فأنتم تدرسون التاريخ فحسب ، بل تصنعونه بتخريجكم أجيالاً واعيةً .

لكم منا كل التقدير و الاحترام على ما بذلتموه من جهود لخدمة العلم وطلابه فأنتم مثال للعطاء والإخلاص جزاكم الله خيراً على كل حرف علمتوه وكل توجيه قدمتموه لقد كنتم خير مرشد وخير معين.

إهداء:

من قال أنا لها نالها، وأنا لها وإن أبت رغماً عنها أتيت بها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

ما سلكنا البدايات إلا بتيسيره وما بلغنا النهايات إلا بتوفيقه وما حققنا الغايات إلا بفضل الله وكان فضل الله علينا عظيما.

تحقق ما كان بالأمس حلماً

ثم لن أنسى أول أسباب الجهد والكفاح وأول أسباب السعي والاندفاع للنجاح **"أمي و أبي الأعزاء"**

أهدي تخرجي إلى من كانت دعواتها زادي في الطريق، وحنانها بلسمًا في لحظات التعب، إلى من علمتني أن الصبر والإيمان يتحقق الحلم...إلى **"أمـــي الـحبـيـبـة"**.

أهدي تخرجي إلى ملهم الكرامة من كان دعمه الصامت أقوى من الكلمات، وكان دائمًا فخورًا بي...

"أبـي الـغـالـي"

إلى أخي العزيز، السند الذي لا يميل، والرفيق في كل مراحل الحياة

إلى أخواتي الحبيبات، زهرات عمري، ورفيقات القلب، وأجمل ما في أيامي.

إلى الصحبة الصادقة، أولئك الذين شاركوني الحلم وصدقوا معي الطريق، كنتم النور في عتمة التعب، والفرح في لحظات الانجاز

وها نحن اليوم نتطرق للوداع، نودعكم بقلوب طيبة، بروح نقية ، بنفس حالمة وبأعين فرحة، الحمد لله أولاً وأخرًا والحمد الله الذي بفضله وكرمه ورحمته بلغنا لحظات التخرج المنتظرة طويلاً

زوليخة

إهداء:

بكل حب أهدي تخرجي إلى نبراس أيامي ،ووهج حياتي وضلعي الثابت وأماني الأبدي **"عائلتي"**

أهدي تخرجي إلى من أحمل اسمه بكل فخر

إلى من حصد الأشواك عند دربي ليمهد لي طريق العلم **"بابا الغالي".**

إلى اليد الخفية والحنونة وصاحبة الدعاء الصادق **"أمي الغالية"**

إلى سندي في الحياة إخوتي وأخواتي أحلى إخوة في الدنيا.

إلى أستاذتي التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ، وإرشاداتها وكانت لي عوناً الأستاذة **"تريكي فتيحة"**

شكراً، شكراً إلى رفاق الدرب، للأحبة، لمن أصبحوا جزء من حياتي إلى من هون علي صعوبة الأيام بضحكاتهم ومرحهم ،إلى رفاق الخطوة الأولى وما قبل الأخيرة .

أدامكم الله ملوكاً في عرش قلبي وحفظكم ملاذاً إليه أنتمي .

ختما لا يسعني إلا أن أشكر كل من ساهم وكان عوناً لي وسنداً في رحلتي ، الحمد الله الذي هيئ البدء ويسر الطريق، الحمد الله على التمام وحسن الختام.

هـد ى .

قائمة المختصرات

الرمز	الدلالة
ت	توفي
تح	تحقيق
دط	دون طبعة
ط	طبعة
م	ميلادي
هـ	هجري
ج	جزء
ص	صفحة
دم	دون مكان
دن	دون دار نشر

مقدمة:

شهدت بلاد الأندلس خلال العصور الوسطى ازدهارًا حضاريا وعلميًا لافتًا، غير أن هذا المجد لم يخلُ من فترات أزمات حادة هزّت بنيتها الاقتصادية والاجتماعية. من بين تلك الأزمات، لعبت الأوبئة دورًا محوريا في تغيير مسار التاريخ، خاصة في لحظات الضعف والانقسام السياسي.

ومن أبرز هذه الأوبئة ،وباء الطاعون الذي اجتاح بلاد الأندلس سنة749هـ/1348م، من أبرز الجوائح التي شهدها الغرب الإسلامي في العصور الوسطى، و أكثرها تأثيراً في المسار التاريخي للأندلس ، لا سيما في مملكة غرناطة التي كانت تمثل آخر معقل إسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.

وقد تسببت هذه الجائحة في تغيرات عميقة شملت النسيج الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، وخلفت آثاراً امتدت لعدة عقود، ما يجعل دراستها ضرورية لفهم تحولات تلك المرحلة الحرجة. وهذا ما سنتطرق لمعالجته في موضوع دراستنا الموسوم بـ"**طاعون 749هـ/1348م ببلاد الأندلس وآثاره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية**"، وقد اكتسب هذا الموضوع أهمية بالغة نظراً لكونه يمثل نقطة تحول تاريخية ساهمت في تسريع التدهور الديمغرافي والسياسي للأندلس، فضلاً عن كونه مرآة عكست استجابة المجتمع الأندلسي لهذه الكارثة من خلال كتابات المؤرخين والعلماء مثل ابن الخطيب وابن خاتمة، الذين قدموا شهادات حية عن هذه الحقبة، ومن الناحية العلمية أنها تسد فراغاً في دراسة الأوبئة في الأندلس، كما أنها من الناحية المنهجية تقدّم نموذجاً يمكن الاستفادة منه في دراسة الكوارث التاريخية، إلى جانب ما توفره من دروس يمكن مقارنتها بأزمات العصر الحديث، وكان الهدف وراء دراستنا هو تسليط الضوء على الطاعون وتداعياته عبر العصور، من خلال تحليل آثاره المدمرة على عدة مستويات مختلفة.

ومن بين الأسباب والدوافع التي أدت لاختيار هذا الموضوع، تمحورت بين أسباب ذاتية وأخرى موضوعية، حيث تمثلت الأسباب الذاتية في:

- ✓ الاهتمام الشخصي بتاريخ الأندلس، خاصة في مراحله الأخيرة في مملكة غرناطة، التي كانت تمثل تحديات مصيرية من أجل البقاء .

- ✓ الرغبة في سد فراغ بحثي، من خلال ملاحظتنا لندرة الدراسات العربية التي تناولت الطاعون في الأندلس بشكل متكامل، والقصد من هذا أن الدراسات العربية التي تناولت الطاعون في الأندلس تحديداً وبشكل شامل من حيث آثاره الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لا تزال محدودة مقارنة بالدراسات الأوروبية أو المشرقية عن الطاعون الأسود.
- ✓ الربط بين الماضي والحاضر، من خلال الرغبة في استخلاص دروس تاريخية من تجربة الأندلس مع الأوبئة، وفهم كيفية تعامل المجتمعات القديمة مع الأزمات الصحية، خاصة في ظل تحديات معاصرة مثل جائحة كوفيد-19.

أما الأسباب الموضوعية، فقد تمثلت في:

- ✓ توفر مصادر أولية غنية، مثل كتابات ابن الخطيب (مقنعة السائل عن المرض الهائل) وابن خاتمة (تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد)، والتي تحتوي على نصوص معاصرة للحدث، وتقدم شهادات مباشرة عن تفاصيل الوباء وطرق مواجهته.
- ✓ الأهمية التاريخية للحدث، إذ يُعدّ الطاعون نقطة تحول في تاريخ الأندلس، حيث ارتبط بتسريع انهيار غرناطة، آخر معقل إسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية.
- ✓ التفاعل بين العلم والدين، من خلال إبراز الجدل الفكري بين التفسيرات الدينية (مثل اعتبار الطاعون عقاباً إلهياً) والتفسيرات العلمية (مثل نظريات العدوى والوقاية)، مما يقدم نموذجاً لصراع الأفكار بين الفكر الديني والعلمي في الحضارة الإسلامية.

استلزمت المنهجية العلمية بلورة إشكالية البحث حول تحديد معالم وأهداف الدراسة، والتي تجلت في التساؤل الآتي:

إلى أي مدى شكل الطاعون الأسود749هـ/ 1348م نقطة تحول حاسمة في تاريخ الأندلس، من خلال تأثيره على مختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية؟ وهل

كان هذا الحدث أحد العوامل التي عجلت بانهيار مملكة غرناطة وسقوط الحضارة الإسلامية في الأندلس؟ وتندرج تحت هذه الإشكالية مجموعة تساؤلات الفرعية:

- ✓ ما هو المسار التاريخي لموجة الأوبئة التي عصفت بلاد الأندلس؟
- ✓ ماهي أهم الطواعين الكبرى حتى القرن 8هـ وفيما تمثلت أنواعها؟
- ✓ كيف كانت بداية ظهور الطاعون في الأندلس وكيف انتشر؟
- ✓ ما هي التدابير التي اتخذتها السلطات الأندلسية لمواجهة الوباء؟
- ✓ كيف نظر العلماء والمفكرون الأندلسيون إلى الطاعون، وهل اختلفت تفسيراتهم بين النظرة الدينية والعلمية؟
- ✓ ما هي الآثار الديموغرافية والاقتصادية التي خلفها الطاعون على المجتمع الأندلسي؟
- ✓ كيف تأثر المشهد الثقافي والعلمي في الأندلس بهذه الكارثة؟

و للإجابة على الإشكالية الرئيسية و التساؤلات الفرعية اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي كإطار منهجي رئيسي، حيث قمنا بدراسة موضوع الطاعون من خلال عرض الآراء الطبية والفقهية المتعلقة به، ثم تحليلها ومقارنتها لفهم كيف نظر إليه العلماء والأطباء في تلك الفترة وما كانت انعكاساته على المجتمع الأندلسي .

وفي سياق دراستنا لطاعون 749هـ/1348م في الأندلس، ظهرت عدة دراسات تناولت جوانب متعددة من هذه الكارثة، والتي استفدنا منها في تشكيل الإطار التحليلي لبحثنا منها دراسة صديقي محمد الموسومة بـ" **الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين (5-7هـ/11-13م)** وهي رسالة دكتوراه بجامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي سنة 1441-1442هـ/2020-2021م،تناولت دور النخبة العلمية في مواجهة الأوبئة، مع تركيز خاص على كتابات ابن خاتمة في "تحصيل غرض القاصد ." وقد كشفت هذه الدراسة عن وعي طبي متقدم لدى

الأندلسيين، خاصة في ما يتعلق بنظريات العدوى والوقاية. ومع ذلك، اقتصر تناولها على الجانب الطبي دون أن تُدرج السياقات الاجتماعية والدينية، كفتاوى العلماء المتعلقة بـ"القدر الإلهي" وتفسيرهم للوباء.

ومن بين الدراسات التي شكلت إضافة نوعية في هذا المجال،تبرز دراسة الباحثة فتيحة تريكي الموسومة بـ"**النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط**"، رسالة دكتوراه بجامعة أحمد بن بلة وهران سنة1442هـ/2020-2021م،تشمل هذه الدراسة تحليلاً لأنواع النباتات التي استخدمت في العلاج والوقاية من الأمراض، كما تناولت موضوع الطاعون من زاوية علمية وتاريخية متكاملة،إذ ربطت بين الأسباب البيولوجية للوباء،ممثلة في جرثومة يرسينيا بيستيس ،ومن بين الطروحات الفكرية التي ظهرت في الثراث الإسلامي ،لاسيما موقف ابن الخطيب الذي دافع مبكراً عن فكرة العدوى في مؤلفه"مقنعة السائل عن المرض الهائل ".وقد أسهم هذا التناول في توسيع أفق البحث حول الطاعون،حيث أتاح لنا طرح الباحثة الإطلاع على زوايا لم تحظ سابقاً بالاهتمام الكافي،ومن هذا المنطلق أردنا التوسع في الآثار الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للطاعون ببلاد الأندلس خلال تلك الحقبة.

كما استفدنا من دراسة مزدور سمية، "**المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588-927هـ/1192-1520م)**، وهي رسالة ماجستير بجامعة منتوري قسنطينة سنة 1429-1430هـ/2008-2009م،تناولت الطاعون كعامل مسرّع لسقوط الأندلس، وركزت على الانعكاسات العسكرية والاقتصادية. وقد أسهمت في ربط الأزمة الوبائية بالبنية الاجتماعية والاقتصادية، لكنها أغفلت الأبعاد السياسية والتهديدات الخارجية، لا سيما ضغوط الممالك المسيحية.

أما في ما يتعلق بالمقالات، فقد اعتمدنا على دراسة بلجة عبد القادر "**مملكة غرناطة النصرية في مواجهة الطاعون في القرن 8هـ/14م**"، التي وثقت الإجراءات الصحية كالحجر الطبي، وأبرزت دور الأطباء مثل ابن الخطيب وابن خاتمة في معاجلة مرض الطاعون

وأخيرًا، تناولنا دراسة بقرار منير "**أثر الطاعون الأسود على الوضع الديمغرافي والاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي**" التي ركزت على الانعكاسات السكانية والاقتصادية، مستندة إلى مصادر تاريخية ك "نفح الطيب "للمقري، مما أتاح فهماً أعمق لتداعيات الوباء على المجتمع الأندلسي.

تطرقنا في هذا العمل في تتبع تأثيرات الطاعون الذي اجتاح بلاد الأندلس في سنة 749هـ/1348م على مختلف جوانب الحضارة الأندلسية، معتمدين في ذلك على خطة منهجية تتماشى مع طبيعة المادة المصدرية المتوفرة لدينا، والتي شملت نصوصًا معاصرة للحدث. وقد جاءت الخطة على النحو التالي:

فتناولنا في المدخل "**أوضاع بلاد الأندلس قبيل تفشي طاعون749هـ**"تمهيدًا لدراسة الحدث، حيث قدمنا فيه نبذة تاريخية عن تأسيس مملكة غرناطة، وتحليلًا مكثفًا للوضع السياسي الهش لمملكة غرناطة في ظل الحروب المستمرة مع الممالك المسيحية، والواقع الاقتصادي القائم، والمشهد الثقافي المتألق الذي كان يزخر بروافد العلم والأدب.

كما عالج الفصل الأول موضوع "**تاريخ الطاعون بين المفهوم والامتداد**"، حيث تناول ثلاثة مباحث رئيسية جاء المبحث الأول تحت عنوانمفاهيم الطاعون والذي تطرقنا فيه إلى التعريف بطاعون من حيث اللغة والاصطلاح والفرق بينه وبين الوباء، والمبحث الثاني عنون بـ المسار التاريخي لموجة الأوبئة التي عصفت بلاد الأندلس، أما المبحث الثالث حمل عنوان الطواعين الكبرى حتى القرن 8هـ، أنواعها ومسارها الوبائي.

أما الفصل الثاني، **فقد عنون بـ"دراسة تاريخية في طاعون الأندلس لسنة749هـ/1348م**" واندرج تحته ثلاث مباحث رئيسية، جاء المبحث الأول بعنوان قراءة تاريخية في الطاعون وأسبابه ، وتطرقنا فيه إلى الطاعون الذي ضرب الأندلس في تلك الفترة ، و الأسباب المؤدية لانتشار الوباء في الأندلس، ثم المبحث الثاني عنوناه بمواجهة الطاعون في الأندلس، وتطرقنا فيه إلى أعراض الإصابة بهذا المرض و طرق الوقاية والعلاج منه، والمبحث الثالث المعنون برؤية العلماء المسلمين للطاعون749هـ/1348م في بلاد الأندلس بين الدين والعلم، والذي قدم فيها ابن الخطيب رؤية الطبية في **"مقنعة السائل"**، إضافة

إلى محاولاته لنشر الوعي حول العدوى، وتطرق أيضًا إلى التفسيرات الدينية من خلال فتاوى العلماء التي بينت اعتبار الطاعون قدرًا إلهيًا وضرورة الأخذ بالأسباب.

وصولاً إلى الفصل الثالث، فقد عالج موضوع "**آثار الطاعون على بلاد الأندلس**"، وناقش ثلاثة مباحث رئيسية، تضمن المبحث الأول الآثار الاقتصادية، تطرقنا إلى الانهيار الاقتصادي الذي شمل تدهور الإنتاج الزراعي والتجارة، أما المبحث الثاني عنون بـ الآثار الاجتماعية وتحدثنا فيه عن التصدع الاجتماعي، وأخيرًا المبحث الثالث كان تحت عنوان الآثار الثقافية قدمنا فيه الصدمة الثقافية وبعض المؤلفات حول الطاعون والوباء.

وقد اختُتم البحث بخاتمة تضمنت تحليلًا شموليًا لمسار الطاعون وتأثيراته، أبرزت دوره كمحفز تاريخي أعاد تشكيل مصير الأندلس. وجاءت هذه الخاتمة في شكل فقرات رئيسية لخّصت أبرز النتائج والاستنتاجات التي توصّل إليها البحث.

قراءة في نقد المصادر والمراجع:

ومن خلال دراستنا هذه، اعتمدنا على مجموعة من المصادر و المراجع المتنوعة، التي أسهمت في إثراء هذا البحث وتوسيع أفق التحليل ، سواء من خلال ما وفرته من معطيات تاريخية، مباشرة أو من خلال ما أتاحته من رؤى طبية ودينية لفهم أبعاد الطاعون و آثاره في الأندلس وهي كتالي:

أولاً:الكتب الطبية:

"التيسير في المداواة والتدبير"لأبي مروان بن عبد الملك بن زهر(ت557هـ/1162م)
قدم ابن زهر في كتابه معالجة علمية دقيقة للأمراض متميزا بوصفه التشريحي المبني على الملاحظة والتجريب بعيدا عن التقليد الأعمى للطب اليوناني، أفادنا في الفصل الثاني ورغم تقدمه الكبير في فهم وظائف الأعضاء وعلاج الأمراض، إلا أن بعض آرائه بقيت محدودة بمفاهيم عصره ولم تبن دائما على أساس علمي تجريبي صارم وفق المعايير الحديثة ومع ذلك يعد عمله خطوة رائدة في مسار تطور الطب في الحضارة الإسلامية والإنسانية عموما.

_كتاب **"تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد " لأبنخاتمة الأنصاري(ت770هـ/1368م)**يعد هذا المصدر من أبرز المصادر الأندلسية التي تناولت الطاعون بتفصيل نادر.ألفه ابن خاتمة سنة (749هـ/1348م)في أوج انتشار الطاعون، وقسمه إلى عدة مسائل شملت حقيقة المرض، أسبابه، طرق العدوى، سبل الوقاية والأحكام الشرعية المتعلقة به.تميز المؤلف بدمجه بين الرؤية الطبية والفقهية، مستندا إلى أحاديث نبوية وأقوال الأطباء مما يعكس موسوعية فكره ومن الناحية التاريخية زودنا هذا الكتاب كثيرا في تتبع مسار الطاعون جغرافيا، إذ قدم خريطة دقيقة لانطلاقه من الشرق وتتبع انتشاره حتى بلاد الأندلس، لكنه يفتقر إلى الرؤية التحليلية أو التوثيق الميداني.

- كتاب **"مقنعة السائل عن المرض الهائل" للسان الدين بن الخطيب**"يتجلى فيه ابن الخطيب كطبيب ومفكر، حيث يقدم رؤى طبية مبكرة حول الطاعون، وهو من أندر النصوص الطبية التي كتبها شاهد عيان ، يعتبر هذا المصدر من أوائل المحاولات الطبية في الغرب الإسلامي لفهم الطاعون من منظور علمي، ويمزج بين الملاحظة الطبية والتأمل الديني، مما يعكس وعياً مركباً بكارثة الطاعون، وقد أفادنا في تقديم وصف شبه سريري لأعراض الوباء وأساليبه في الانتشار، لكنه يبقى متأثراً برؤية العصر التقليدية.

- كتاب**"النصيحة"لأبي محمد علي الحضرمي الشقوري(كان على قيد الحياة في 766هـ/1364م)**يعد كتاب النصيحة من المؤلفات الطبية المهمة في الدولة النصرية في مقاومة الأوبئة، مستعرضا كذلك دور بعض النباتات الطبية في تنقية الجو وتلطيفة، أهمية التغذية السليمة في تقوية جهاز المناعة أوصى الشقوري بتناول القمح الكامل والفواكه والابتعاد عن الأغذية المالحة والحلويات مما يعكس وعيا مبكرا بالعوامل البيئية بالصحة، إلا أن بعض توصياته يغلب عليها الطابع التجريبي القائم على الملاحظة لا التحليل العلمي كما أن تعميم بعض النصائح دون تفصيل لحالات المرضى أو الفروق الفردية يقلل من دقتها التطبيقية ومع ذلك يظل الكتاب دليلا على تطور الفكر الطبي الإسلامي واهتمامه بالوقاية قبل العلاج.

ثانياً: كتب التاريخ العام:

"البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب"لابن عذارى المراكشي(كان حيا سنة712هـ/1313م)يعد من المصادر التاريخية المهمة التي وثقت فترة طويلة من التاريخ الأندلسي، لقد زودنا بمعلومات مختصرة لكنها مهمة عن أوبئة ومجاعات حدثت في البلد.

ـ"كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس" لابن أبي زرع(توفي في القرن 8هـ/14م) وهو أحد أهم المصادر التاريخية المغربية المهمة، يستوعب أحداث تاريخ المغرب من الفتح الإسلامي حتى عهد المؤلف ولاسيما تاريخ مدينة فاس، مع تركيز ابن ابي زرع على السلالات الحاكمة للمرينين إذ يركز على التاريخ السياسي للمغرب الأقصى، لكنه يتضمن إشارات عابرة عن الطاعون وانتشاره بالأندلس.تتجلى قيمته في تقديم بعد مغربي لظاهرة الوبائية ،إلا أنه لم يتطرق بتفصيل عن هذه الكارثة .

- كتاب **"الإحاطة في أخبار غرناطة " لمؤلفه لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ/1374م)**وهو أديب ومؤرخ وطبيب أندلسي ، شغل مناصب سياسية في بلاط بني الأحمر، ويعد من أعلام الفكر الأندلسي. إذ يعد هذا المصدر من أبرز الأعمال التاريخية التي وثقت الأوضاع في مملكة غرناطة قبيل تفشي الطاعون، خلال عصره حيث قدم فيه معلومات دقيقة عن الاقتصاد والمجتمع ، لما يتمتع به ابن الخطيب من موقع رسمي وعلمي مكنه من الإطلاع على تفاصيل دقيقة للحياة السياسية والاجتماعية في غرناطة، ورغم ثراء المعلومات التي تحتويها، فإن الطابع الموضوعي، ما يستلزم قراءة نقدية مقارنة مع مصادر أخرى.
- **"السلوك لمعرفة دول الملوك"لتقي الدين المقريزي(ت845هـ/1442م)**هو أحد أبرز مؤلفات المؤرخ المصري ويعد هذا المصدر مهم لتاريخ الدولة المملوكية ويغطي فيه المقريزي الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية بشكل سنوي ويتميز بتوثيقه للأحداث ، واعتماده على مصادر متنوعة منها الرسمية والشخصية، مع ملاحظاته وتحليلاته الخاصة إذ قدم لنا توثيق

أجواء مصر والشام خلال تفشي الطاعون، وقد استفدا منه في تتبع حركة الوباء نحو الغرب الإسلامي، يتميز بدقة سرد الأحداث لكنه ينحاز إلى تسجيل وقائع النخبة على حساب التحليل الاجتماعي للفئات الأضعف.

ثالثا: كتب الفقه والنوازل:

_"الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية" لمؤلف محمد المواق ومحمد الرصاع، يعد من كتب النوازل الفقهية المهمة في الغرب الإسلامي خلال القرن التاسع الهجري وقد وردت فيه أجوبة علماء تونس عن أسئلة وجهها إليهم علماء غرناطة في ظل الأوضاع الحرجة التي عاشها المسلمون قبيل سقوط الأندلس ، يعكس هذا المصدر استجابات الفقهية للأوبئة خاصة ما يتعلق بأحكام الطاعون، ويبرز أهمية الفقه في ضبط الحياة العامة زمن الأزمات، إذ أفادنا في الفصل الثالث من خلال تطرقه إلى بعض النوازل الفقهية والممارسات الدعائية للطاعون.لكنه لا يتضمن وصفا تاريخيا أو اجتماعيا مباشرا للوباء مما يقلل من استخدامه كمصدر تاريخي مستقل.

أما فيما يخص المراجع فقد اعتمدنا على المراجع الأساسية وهي كتالي:

- **"أثر الطاعون الاقتصادي على الوضع الديمغرافي في بلاد المغرب الإسلامي" لمنير بقرار** يركز هذا المرجع على التحليل الكمي والنوعي للآثار الاقتصادية التي خلفها الطاعون، و يسهم في سد فجوة مهمة كانت مغيبة في أغلب المصادر.
- **"الأحكام الفقهية المتعلقة بفيروس كورونا"، لخليفة أشرف السيوطي**، رغم حداثة هذا المرجع فقد استفاد البحث من تحليله الفقهي المعاصر في التمييز بين مفهومي الوباء والطاعون، مما ساعد على ضبط المفاهيم في الفصل الأول، غير أن محاولة إسقاط أحكام معاصرة على أوبئة تاريخية قد تؤدي إلى تعميمات غير دقيقة، لذا ينبغي التعامل معه كمصدر مساعد لا محوري.
- **"تاريخ الأوبئة والمجاعات في المغرب خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر "** لمحمد أمين البزاز ، رغم تركيز المرجع على فترة لاحقة إلا أن تحليله لأسباب الأوبئة وتداعياتها في المغرب

أفاد في فهم بعض المواضيع التي مهدت لتفشي الطاعون ، خاصة ما يتعلق بعوامل البيئة والسياسة ، ومع ذلك يتطلب الاستفادة منه مراعاة الفروق الزمنية والمنهجية بين الفترتين.

كما هو الحال في أي تجربة بحثية، واجهتنا أثناء إعداد هذا العمل مجموعة من الصعوبات، نذكر منها:

_عدم تخصيص الكتب التاريخية لمؤلفات مستقلة وشاملة عن الطاعون، مما يعكس عزوف المؤرخين عن توثيقه كحدث رئيسي، بسبب ندرة المصادر عن تسجيل وتأريخ أحداث الطاعون بشكل مفصل.

_وجود اختلافات وتناقضات بين المصادر التي يتناولها الباحث، خاصة بين المصادر الطبية التي تركز على الأعراض والعلاجات المحتملة، والمصادر الدينية التي قد تفسره كعقاب إلهي. وهذه الصعوبات حولت البحث إلى رحلة استكشاف بين أطلال الماضي، حيث كل عقبة كانت مفتاحا لفهم أعمق لقدرة الحضارات على الصمود والتكيف في وجه الأزمات.

مدخل:

أوضاع بلاد الأندلس قبيل تفشي طاعون 749ه

1) **نبذة تاريخية عن تأسيس مملكة غرناطة**
2) **الأوضاع السياسية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة**
3) **الأوضاع الاقتصادية قبيل تفشي الطاعون غي مملكة غرناطة**
4) **الأوضاع الاجتماعية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة**
5) **الأوضاع الثقافية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة**

مدخل:

أ –أوضاع بلاد الأندلس قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة :

قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة، كانت الأوضاع في الأندلس تمر بفترة من التوتر السياسي والاجتماعي، فقد كانت مملكة غرناطة تقع في جنوب الأندلس ، تمثل آخر كيان إسلامي مستقل في المنطقة، وكانت تحكمها أسرة بني نصر، وسط تحديات داخلية وضغوط خارجية متزايدة تحت حكم بني نصر.

1) نبذة تاريخية عن تأسيس مملكة غرناطة:

اشتق اسم غرناطة من الكلمة Grante الرومانية وتعني "الرمانة" وذلك لجمالها وكثرة حدائق الرمان المحيطة بها[1]، كانت قبل الفتح الإسلامي مدينة صغيرة[2]، ثم تحولت إلى إحدى أجمل وأحصن مدن الأندلس[3]، تأسست المملكة على يد محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر عام 1238م، مؤسسا الدولة النصرية[4]، ظهرت في فترة حرجة، عندما بدأت الممالك الإسلامية في الأندلس تتساقط بيد الإسبان

[1] شوقي أبو خليل، مصرع غرناطة أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988، ص24

[2] عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92-897هـ/711-1492م)، دار القلم، ط2، دمشق، بيروت، 1981، ص518.

[3] درفلو إسماعيل، بن جدو سميرة، دور مملكتي قشتالة وأراغون في إسقاط مملكة بني الأحمر(836-897هـ/1432-1492م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، مغنية غرادين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021-2022، ص26.

[4] شامخ زكريا علاونة، "سقوط مملكة غرناطة(896هـ/1492م)"، مجلة الإنسان والمجال، المجلد5، العدد9، ديسمبر، 2019، ص35

النصارى[1]. ورغم تدهور الأوضاع تأسست المملكة الصغيرة في جنوب الأندلس ممتدة من البحر المتوسط ومضيق جبل طارق[2].

إذ شملت المملكة ثلاث ولايات كبيرة غرناطة [3]، ألمرية[4]ومالقة[5]، وأصبح الحكم وراثيا[6]، إذ مر 80 عاماً بين قيام مملكة غرناطة وولادة ابن الخطيب وشهدت خلالها استعادة ملوك قشتالة، أراضي الأندلس [7]، حافظ بنو الأحمر على صمودها قرنين ونصف، كآخر دولة إسلامية في الأندلس[8].

---

[1] شوقي أبو خليل ، مصرع غرناطة، المصدر السابق، ص25

[2]حدود داوود الحسين ، لسان الدين بن الخطيب حدود داوود الحسين، لسان الدين بن الخطيب 713 ، 776هـ / 1313- 1374م ، دراسة تاريخية ، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات رتبة الإنجاز العالمية للماجستير، كلية الأداب بإشراف، إدريس صالح الحرير، قسم التاريخ، تخصص التاريخ الإسلامي، جامعة بنغازي، د ت، ص02

[3]غرناطة: هي مدينة أندلسية عريقة، يخترقها نهر غرناطة الغني بالذهب، وتقع قرب ألبيرة وقرطبة. ينظر: شهاب الدين أبي عبد الله يا قوت، بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، معجم البلدان ، دت، دار صادر، ج 4 ، بيروت ، دت ، ص 195

[4]ألمرية: هي بالأندلس مدينة محدثة أمر بنائها أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة 344 وتطوفوا بساحل الأندلس والعدوة فاتخذها العرب مرأى وابتنت بها محارس ، وهي اليوم أشهر مراسي الأندلس وأعمرها وكانت القرية في أيام الملثمين مدينة الإسلام . ينظر: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري ، صفة الجزيرة منتخبة من كتاب الروض المطار في خبر الأقطار ، تح، لافي بروفنصال، دار الجيل ، ط2 ، بيروت ، لبنان ، 1408هـ 1988م الحميري ، ص ص 183 - 184

[5] مالقة: هي مدينة أندلسية ساحلية عامرة، تحيط بها أسوار صخرية وتشتهر بتينها الممتاز الذي يصدر إلى المشرق.يشرب أهلها من الآبار، ولها وادي موسمي. ينظر، الحميري صفة الجزيرة ، المصدر نفسه ص ص 177- 178

[6]حدود داوود الحسين، المرجع السابق ، ص 03

[7]المرجع نفسه ،ص 03

[8] عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، المصدر السابق، ص518.

2) الأوضاع السياسية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة:

بعد سقوط الموحدين في معركة العقاب [1] سنة 609 هـ/1212 م عملت مملكة قشتالة[2] على تقوية نفسها كمهاجمة الأمراء المسلمين [3] إذ مرت الأندلس بأزمة داخلية في عصر ملوك الطوائف ، حيث تحولت غرناطة مسرحا للصراعات على السلطة [4] إذ عاشت مملكة بني نصر قرنين من الصراعات الشرسة ضد قشتالة و البرتغال و أراغون من أجل البقاء [5]حيث ظهر محمد بن يوسف نصري المعروف بابن الأحمر المنتمي لقبيلة الصحابي سعد بن عبادة مما أضاف للملكة عراقة و نسبا نبيلا [6]

فكان سعي حكام بني الأحمر لمواجهة الدول المعادية بالتحالف مع المرينين أحيانا والمهادنة مع النصارى أحيانا أخرى[7]، وبعد سقوط المدن الأندلسية هاجر المسلمون إلى غرناطة باعتبارها ملاذهم الوحيد[8] إذ شهدت في عهد يوسف الأول (1333 – 1354م) ذروة ازدهار دولة بني الأحمر [9]، ففي

---

[1]معركة العقاب : وقعت هذه المعركة بالقرب من جيان وقلعة رباح في الأندلس، وهي هزيمة كبيرة للمسلمين، وذلك منصف عام 609هـ . ينظر:الحميري ، صفة الجزيرة ، المصدر السابق، ص 137

[2]قشتالة: هي منطقة في الأندلس، سميت باسمها وتقع شمال جبل الشارات، بينما يسمى الجزء الجنوبي إسبانيا.ينظر الحميري ، صفة الجزيرة المصدر نفسه ، ص 161

[3]حدود داوود الحسين، لسان الدين بن الخطيب ، المرجع السابق، ص 2

[4]يوسف شكري فرحات ، غرناطة في ضل بني الأحمر (دراسة حضارية) ، دار الجبل ، بيروت ، 1993 م ، ص 15

[5] إبراهيم بو غنامة ، مباركة بورقعة ، النظم السياسية و الإدارية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر (635- 897هـ / 1238-1238-1492 م) مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في التاريخ المغرب العربي الوسيط و الحديث ، بإشراف ، سليم الحاج سعد ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي ، 1436 – 1439هـ /2017-2018 م ، ص 16

[6] حدود داوود الحسين ، المرجع السابق، ص 02

[7]إبراهيم بو غنامة ، أمباركةبورقعة ، المرجع السابق، ص 16

[8]بكارة عفاف، بوتفانيمحمد ، "الجيش الغرناطي في عصر بني الأحمر (627-897هـ/1232-1492م)"المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، جوان 2019 ، المجلد 05 ، العدد 09 ، ص26

[9] يوسف شكري فرحات غرناطة في ضل بني الأحمر ، المرجع السابق، ص 35

ففي مملكة غرناطة كانت السلطة السياسية تعتبر من أبرز السلطات[1] شهدت الأندلس تغيرات في السلطة السلطة قبل سقوط غرناطة مع الهجمات المسيحية المتواصلة على أراضي ا المسلمين منذ أن حل القرن 12 ميلادي[2]

وتوحدت قشتالة وأراغون لاقتحام أخر معقل إسلامي، بينما ضعف بني مرين بسبب الأزمات في المغرب[3] المغرب[3] فتعاونوا للقضاء على مملكة غرناطة فاحتلوا جبل طارق ورندة[4] ومالقة وبسطة[5]، وتدهورت الأوضاع السياسية وازداد عدوان النصارى على الإمارات المتناحرة [6] وكان عصر بني الأحمر الأسوأ سياسيا في الأندلس، حيث كثرت الفتن والانقلابات[7] وفي ثاني ربيع الثاني 897هـ/1492 م انتهت دولة بني الأحمر بسقوط غرناطة مختتمة تاريخ الإسلام في الأندلس[8]

---

[1] سماح حرزلي، النثر الفني في كتاب ريحانة الكتاب و نجعة المنتاب للسان الدين بن الخطيب مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر ، بإشراف، دحنية فاطمة ، كلية الآداب و اللغات ، قسم الأدب و اللغة العربية ، جامعة محمد خيضرة ، بسكرة 2021 – 2022 ، ص 05

[2] سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، د ت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ط1 ، ج2 ، بيروت بيروت ، لبنان ، 1998، ص 755

[3]قاسم عبد سعدون حسني، الموريسكيون والعالم الإسلامي من سقوط غرناطة حتى نهاية محاكم التفتيش الإسبانية (دراسة تاريخية وثائقية) ، دط، دت، ص27

[4]رندة: هي منطقة خصبة كانت تتبع قرطبة ثم أصبحت ضمن ولاية إشبيلية، وهي معروفة بوفرة حقول القطن. ينظر : ابن السعيد ، المغرب في حلى المغرب، تح ، شوقي ضيف ، دار المعارف، ط2، مصر، القاهرة ، 1964، ص 329

[5]بسطة: يقال لها بَسطة (أو بُسطة) وهي مدينة أندلسية تابعة لجيان، اشتهرت بالمصلبات البسيطة، وتنسب إليها كورة بَسطة الواقعة بأسفل الأرض.ينظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، المصدر السابق، ص422

[6]عبد الكريم حماتيت ، علماء الغرب الإسلامي في عصر بني الأحمر دراسة في أحوالهم الاجتماعية و دورهم في إنقاذ مملكة غرناطة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ودورهم في الحضارة الإسلامية ، بإشراف ، سامية جباري ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة بن يوسف بن خدة ، الجزائر 01 ، 1443 -1444هـ / 2021-2022م ، ص 22

[7]حسن لزنك، الجوانب الاجتماعية في غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ما بين القرنين (5-8 و 11-14هـ)مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر بإشراف علي زيان ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2022-2023 م ، ص 22

[8]إبراهيم بوغنامة ، مباركة بورقعة ، النظم السياسية والإدارية في مملكة غرناطة ، المرجع السابق ، ص 17

3) الأوضاع الاقتصادية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة:

أ- الزراعة:

يعد الاقتصاد مؤشرا على تطور الشعوب [1]، إذ ارتكز اقتصاد مملكة غرناطة على الزراعة وغيرها إذا اتفق الجميع على جمال وخصوبة أراضي مملكة غرناطة[2] إذ تعتبر الزراعة أساس للاقتصاد والتطور الحضاري وازدهرت في مملكة غرناطة تحت حكم بني الأحمر[3] وأولى سكان غرناطة إسهاما كبيرا بالزراعة وذلك راجع بفضل أرضها الغنية والأودية والهضاب والسهول[4] ويشير ابن الخطيب أن مدينة غرناطة كانت تتميز بوفرة السمك وكانت مقصدا للتجار والمجاهدين[5]وكانت الأسماك مصدر

[1]أحمد جميات ، مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقاتها بالممالك المسيحية (635-897 هـ/ 1230-1492 م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، بإشراف ، سامية أبو عمران ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 1432-1433هـ/2011-2012م، ص47

[2]عبده بن محمد عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية (631 – 897م) ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، بإشراف ، سعد بن عبد الله البشري ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية ، ص 266

[3]فايزة ميلي أم الخير عثمان، النشاط الاقتصادي لغرناطة في ضل بني الأحمر (653-897هـ /1232-1492م) ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر ، بسكرة، 2022-2023، ص28

[4]يوسف فرحات ، غرناطة في ضل بني الأحمر المرجع السابق ، ص 119.

[5]لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، صححه ووضع فهارسه ، محب الدين الخطيب ، د ط ، القاهرة ، 1347، ص 13

رزق لسكان الشواطئ وعرضت في أسواق المنكب[1] اشتهرت مَرَبله بصيد السردين ومالقة بتحضير الطون[2]، ولكن وسائل الصيد لم تكفي لتلبية احتياجات السكان[3]،

ومن فضائلها خصوبة أراضيها ووفرة المعادن الثمينة [4]، تشتهر منطقة عتقه و المقاطعات بزراعة القمح و الشعير ، و تعد تربة حمص من أفضل الأراضي لإنتاج اللوز و قصب السكر [5]، و اشتهرت بيابسة [6] بالزعفران و جيان[7] بالفضة و الزيتون تحت سلطة ابن الأحمر [8] و اشتهرت مالقة مالقة بتينها الذي يضرب به المثل و يصدر للهند و الصين [9] و ألبيرة[10]

---

[1] المنكَّب : (بضم ثم الفتح و تشديد الكاف و فتحها، والباء الموحدة)، وهو بلدة ساحلية في جزيرة الأندلس تابعة لإقليم ألبيرة ، تبعد عن غرناطة أربعين ميلا ، ينظر : صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت739 هـ) ، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة و البقاع ، تح ، علي محمد البجاري ، دار الجيل ، ج 3 ، ط1 ، بيروت ، 1922 ، ص 1324

[2] يوسف فرحات ، غرناطة في ظل في الأحمر ، المرجع السابق ، ص 122

[3] طليطلة : هي من أعظم بلاد الأندلس و هي مدينة عظيمة قد أحدث بها النصر المسمى تاجه يقال إن هذه المدينة من بنيان الخزر و يقال من بنيان القوطيين و كانت دار ملكهم وملك الروم و من بعدهم و قال ابن الجزار في كتاب عجائب الأرض إن هذه المدينة سكن ابن النمرود و هو فرعون إبراهيم الخليل عليه السلام حيث ولاه أبوه على بلاد المغرب، و من عجائب طليطلة أن القمح يبقى فيها سبعين و ثمانين و مائة سنة وأكثر و هي كثيرة الزرع و الضرع و فيها العجب العجاب الذي ما صنع في الدنيا مثله ، ينظر: أبي بكر الزهراوي، كتاب الجعرافية ، تح، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية ، د م ، دت ، ص 83

[4] لسان الدين ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، المصدر نفسه ، ص 13

[5] عواجي عبد القهار ، علاقة مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 273

[6] بياسة : هي مدينة أندلسية تبعد عشرون ميلا عن جيان، تقع على مرتفع مطلة على نهر قرطبة الكبير.تتميز بأسوارها وأسواقها وزراعتها، وتشتهر بإنتاج الزعفران.ينظر: الحميري صفة الجزيرة ، المصدر السابق ، ص 57

[7] جيان : هي مدينة أندلسية خصبة تبعد عشرون ميلا عن بياسة، تشتهر بوفرة محاصيلها ولحومها وعسلها، وتضم أكثر من آلاف قرية قرية لتربية دود القز، مع بساتين وحقول قمح وشعير، وبها مسجد جامع وعلماء كبار. ينظر : محمد عبد المنعم الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح، إحسان عباس ، مكتبة لبنان ، ط1 ، بيروت ، 1975 ، ص 173

[8] أحمد جميات ، مملكة بني الأحمر في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 10

[9] أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تح، إحسان عباس ، دار صادر، المجلد الأول ، بيروت ، 1988م ، ص 151

[10] ألبيرة : هي مدينة أندلسية قديمة أسسها عبد الرحمن الداخل، ثم هُجر وانتقل سكانها إلى غرناطة المجاورة على بعد ستة أميال ستة.ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص29

التي أسسها عبد الرحمن بن معاوية كانت من أبرز مدن الأندلس [1]، ويعود المناخ من العوامل الرئيسية المؤثرة في الإنتاج الزراعي [2]، اعتمد زراع غرناطة على الأمطار والآبار والأنهار لري أراضيهم خصوصا في المناطق الجبلية [3] وتعد شلوبانية[4] من أملاك بني الأحمر ، كانت مدينة ، شهيرة بالفلاحة حيث كان أهلها زراعيين فقراء [5]

و تتميز البشرات بأراضي خصبة لزراعة القمح و الشعير و اللوز و الزيتون و سكنها فلاحون من قشتالة[6]

إذ تميزت غرناطة بتنوع محاصيلها الزراعية كالتين والرمان والتفاح والشعير والذرة التي غطت سهولها حتى تشبهت ببحر الحنطة كما اعتمدت على أكثر من الطواحين لطحن الحبوب ، ما يعكس ازدهار قطاع الزراعة فيها[7].

ب– الصناعة:

كان الغرناطيون معروفين بحبهم للصناعة والفنون وكانت حياتهم الاقتصادية مزدهرة ومنظمة [8]، عرفت شبه الجزيرة الإيبرية بوجود مناجم غنية بالفضة والرصاص والحديد والزنك [9] وفي العهد نصري

---

[1] عبد المنعم الحميري ، صفة الجزيرة ، المصدر السابق، ص 29

[2] إسراء محمد أحمد معوض، الزراعة في مملكة غرناطة في ضل بني الأحمر(798، 635هـ /1238 ، 1492م) جامعة عين شمس ، العدد الثامن عشر، الجزء الرابع ، 2017 ، ص 03.

[3] المرجع نفسه، ص 03

[4] شلوبانية : هي قرية ساحلية تبعد عشرة أميال عن المنكب، مشهورة بزراعة الموز وقصب السكر، وتطل على مرسى مليلة عبر مضيق بحري. ينظر: الحميري ، صفة الجزيرة، المصدر السابق ، ص 111.

[5] إسراء محمد أحمد معوض، الزراعة في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص06.

[6] أحمد جميات، مملكة بني الأحمر في الأندلس، المرجع السابق ، ص 11.

[7] جميلة بخيتان الحربي، "الأيدي العاملة في غرناطة بني الأحمر ودورهم في الارتقاء بالحرف والصناعات"، مجلة شرق الأوسط، ، العدد الثالث والأربعون ، ص 319.

[8] حسن لزنك، الجوانب الإجتماعية في غرناطة، المرجع السابق، ص25

[9] يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر ، المرجع السابق ، ص 122

استخرج الرصاص من مناجم بَرْحه وتعددت مناجم الحديد في ألمرية . و وادي أش [1]، إذ وجد الذهب قرب غرناطة [2]، إذ ساعد ازدهار الزراعة وتوفر المعادن مثل الذهب و الفضة والرصاص في مملكة غرناطة غرناطة على نحو الصناعة [3] وقد كان الذهب يلتقط من نهر شنيل[4] في غرناطة والمرجان من ساحل بيرة[5] بيرة[5]

والياقوت الأحمر من حصن منت ميور بالإضافة إلى حجر المغناطيس في غرناطة[6] وكانوا يصنعون الفضة الخالصة والذهب الأبريزو كانت عملتهم المميزة[7]وكثرت مقالع الرخام الأبيض[8]، إذ إذ تكون المجتمع الغرناطي من العرب والبربر و الأندلسيين وانتشرت المهن بين فئاتة[9] وانخرط الأشراف في مهن عادية وترقي العديد من عامة الناس إلى مناصب مرموقة وإلى جانب هذا اهتمت جميع الطبقات بالمهن و الحرف ، مع توارثها و وجود أسواق ثابتة[10]، إذ يتم إستيراد النفط ومواد البناء[11].

واستمرت المملكة النصرية بصناعة الأسلحة مثل طليطلة[12].

كما برع أهل غرناطة في صناعة الحرير مستفدين من توفر أشجار التوت التي تتغذى دودة القز على أوراقها[1]. كما ازدهرت في الأندلس صناعات دبغ الجلود، الخزف، العاج ، الورق من القطن والكتان والزجاج والعطور[2].

---

[1] وادي آش : وهو الواقع في الركن الجنوبي الغربي من الأندلس تحيط به قرية بها عين تجري، تتدفق مياهها سبع سنوات ثم تنقطع سبع سنوات أخرى. ينظر : الحميري ، صفة الجزيرة ، المصدر السابق ، ص 192

[2] يوسف فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر ، المرجع السابق ، ص 122

[3] عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 301

[4] نهر شنيل : و هو ذلك النهر الذي يمر على غرناطة. ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى، المكتبة الأميرية ، ج 5 ، القاهرة ، ص 235

[5] عواجي عبد القهار ، علاقات مملكة غرناطة مع الدول المسيحية ، المرجع السابق ، ص 302

[6] عواجي عبد القهار، المرجع نفسه ، ص 302

[7] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، المصدر السابق، ص 29

[8] المرجع نفسه ، ص 122

[9] عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية، المرجع السابق ، ص 301

[10] المرجع نفسه ، ص 301

[11] أحمد جميات ، مملكة بني الأحمر في الأندلس و علاقاتها بالمماليك المسيحية ، المرجع السابق ، ص2 12

[12] نفسه ص123

ج- التجارة:

في العهد النصري كانت نوعين داخلية وخارجية [3] إن مدن الأندلس كانت مراكز اقتصادية هامة للتجارة من مختلف مناطق البحر الأبيض المتوسط[4]إذ تعتبر التجارة الداخلية ضرورية لتلبية احتياجات الناس من مختلف السلع[5] ازدهرت تجارة غرناطة بفضل موانئها النشطة التي ربطتها بالمغرب والمشرق[6] وتعتبر التجارة الخارجية التي اهتم بها بعض الرحالة بتصدير الفخار من مالقة و الفواكه المجففة من بلش[7] أن ازدهار الزراعة والصناعة أسهم في تنشيط التجارة ، فتجارة دعمت الصناعة ووفرت فرصا لتطوير الزراعة [8] الموقع الجغرافي لغرناطة ساعد في تعزيز تجارتها الخارجية فغرناطة كانت قريبة من أوروبا و العالم الإسلامي [9].

أبرمت غرناطة معاهدات تجارية مع قشتالة وأراغون وبعض الإمارات الإيطالية[10] . وتمركزت التجارة الكبرى في مدن بني نصر لتوفير احتياجات السكان[1]و كانت المراكب التجارية تنتقل الخامات إلى موانئ المتوسط وتصدر غرناطة المعادن والعطور والحلي بينما تستورد السلع مثل التوابل والأرز والزيت[2]

---

[1] يوسف فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص 123

[2] المرجع نفسه ، ص 123

[3] يوسف فرحات ، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع نفسه ، ص 124

[4] سلمى الخضراء الجيوسي ، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس ، المرجع السابق ، ص 1063

[5] عواجي عبد القهار ، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية ، المرجع ، السابق ، ص 284

[6] حسن لزنك، الجوانب الاجتماعية في غرناطة ، المرجع السابق ، ص 24

[7] بلش: و هي مدينة تلي المنكب من جهة الغرب كثيرة التين و العنب و الفواكه .ينظر : القلقشندي ، صبح الأعشى ، المصدر السابق، ص 217

[8] يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر ، المرجع السابق ، ص 126

[9] المرجع نفسه ، ص 126

[10] المرجع نفسه ،ص 126

4)الأوضاع الاجتماعية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة:

بعد سقوط العديد من الحواضر الأندلسية، هاجر العديد من المسلمين إلى الثغور الجنوبية أو أراضي الإسلام هروبا من ظلم النصارى ، وحينما أصبحت غرناطة حاضرة الدولة [3] إذ ازداد عدد سكان مملكة غرناطة نتيجة هجرة المسلمين من مختلف قواعد الأندلس[4] ويعود ذلك بهجرة مدجني قشتالة وأراغون [5]، و تميز سكان غرناطة بنزعة عروبية ، خاصة بعد هجرة العديد من البطون العربية القديمة المنتمية إلى مذهب مالك[6] إذ تعد الحياة الاجتماعية مقياسا لتقدم المجتمع، فتنوعها يعكس تنوع الفكر[7] إذ تكون مجتمع غرناطة من أهل البلاد الأصليين و الوافديين العرب والبربر مما أدى إلى ظهور عنصر المولدون[8] إذ دخل العرب الأندلس عبر موجات بشرية متتابعة[9]

---

[1] عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية ، المرجع السابق ، ص 284

[2] يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق، ص127

[3] حدود داوود الحسين ، لسان الدين الخطيب ، المرجع السابق ، ص 05

[4] أحمد محمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر ، تقديم ، أحمد مختار العبادي ، مؤسسة شباب الجامعة ، دط ، إسكندرية ، دت ، ص 70

[5] المرجع نفسه ، ص 70

[6] حدود داوود الحسين ، لسان الدين بن الحطيب ، المرجع السابق ، ص 05

[7] أحمد جميات ، مملكة بني الأحمر في الأندلس و علاقاتها بالمماليك المسيحية ، المرجع السابق ص 40

[8] ناصر عليش، الحياة الاجتماعية في مملكة غرناطة في عهد بني زيري (403-483/1012-1090 م) ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ ، بإشراف ، محمد الأمين بلغيث ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر 2، 1433-1434هـ/2012-2013م ص 49

[9] هاجر صاحي ، الحياة الاجتماعية لطبقة الحجاب و الوزراء بالأندلس في عهد ملوك الطوائف (5هـ/11م)، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه (ل.م.د)، الطور الثالث في تاريخ و حضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط بإشراف ، تو فيق مزاري عبد الصمد ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة يحي فارس ، المدية 1443-1444هـ/2022-2023م ، ص42

إذ أن العرب كانوا من أبرز العناصر التي شكلت المجتمع الأندلسي [1]إذ يعد البربر سكان المغرب الإسلامي اندمجوا في المجتمع الأندلسي عبر الزواج، وتعلموا اللغة العربية بشكل كامل[2]، ونشأ جيل المولدين نتيجة مصاهرة المسلمين مع أهل البلاد وكان عبد العزيز بن موسى أول من تزوج بإسبانية [3]والمستعربون هم النصارى الإسبان الذين ظلوا محافظين على معتقداتهم وعاشوا مع المسلمين بحرية [4]، إذ إذ عاش في مجتمع الطوائف الدينية المسلمون والنصارى واليهود[5] "يحي بن إبراهيم البرغواطي من أهل ألفا ألفا من بين عمال يعرفون بني الترجمان أولى وشدة على الناس وضغط انقطع إلى لقاء الصالحي وصحبة الفقراء المتجردين وقدم على الأندلس عابدا كثير العمل"[6]، كما كانت الأسرة الأندلسية إما غنية تضم عدة زوجات وجواري أو فقيرة تقتصر على زوجة واحدة وأحيانا عدة جواري[7]، وكانت المرأة الأندلسية تتمتع بالجمال [8] إذ يقول ابن الخطيب حول هذا" وحريمهم حريمٌ جميل موصوف باعتدال السمن وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة إلا أن الطول يندر فيهن "[9].

ومن بين العادات الاجتماعية المعروفة بالأندلس أن أهل الأندلس لا يتعممون حيث اختصت في الغالب بطبقة العلماء والفقهاء ووجهاء المجتمع، فكان الرجال من طبقة العامة يعتنون بشعورهم بالحناء

[1]ناصر عليش ، المرجع السابق، ص 49.

[2]هاجر صاحي ، الحياة الاجتماعية لطبقة الحجاب والوزارة بالأندلس ، المرجع السابق ، ص 4

[3]ناصر عليش، المرجع السابق ، ص 57

[4]هاجر صاحي ، الحياة الاجتماعية لطبقة الحجاب والوزراء بالأندلس، المرجع السابق ، ص 46

[5]حدود داوود الحسين ، لسان الدين بن الخطيب، المرجع السابق ، ص 06

[6]لسان الدين بن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تح ، محمد عبد الله عنان، مكتب الخانجي ، المجلد الرابع ، ط1، القاهرة ، 1977، ص 427

[7]يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، المرجع السابق ، ص 102.

[8]نفسه ،ص 102

[9]ابن الخطيب ، اللمحة البدرية، المصدر السابق ، ص23.

رغم شيبها [1] وتزداد رفاهية سكان المدن المليئة بالعمران وتعتاد على تلبية احتياجات الترف[2] ومن عادات عادات و تقاليد المجتمع الغرناطي كان يحتفل بالأعياد الدينية والمناسبات مع انتشار الغناء والموسيقى و ملابسهم مصنوعة من الصوف والحرير[3] .

كما تعامل الفرد الأندلسي مع الأوبئة بمزيج من الطب التقليدي، الإيمان، والخبرة الشعبية، وكان لذلك أثر واضح في تشجيع دراسة الطب وظهور كتب جديدة في الطب الوقائي والعلاجي.

5)الأوضاع الثقافية قبيل تفشي الطاعون في مملكة غرناطة:

ازدهرت الحركة الثقافية في الأندلس من القرن السابع الهجري ، حيث سعت الحركة الفكرية لربط الماضي بالحاضر، مما عزز النهضة العلمية والثقافية في تلك المرحلة واستقرار الوضع الثقافي[4]، إذ استمر ملوك غرناطة في دعم الأدب مثل ملوك الأندلس السابقين وكان بلاطهم يعكس تقاليد أدبية مميزة وازدهرت الحركة الثقافية في عهد السلطان محمد بن يوسف الأول الذي حكم سنة (1238-1273م) بفضل كثرة الإنتاج الأدبي نثرا وشعرا[5]، كما ركزت مدرسة غرناطة على علوم اللغة والنحو، بالإضافة إلى مجالات أخرى مثل الفلك والطب ، وبرز فيها علماء مثل أبي الحسن علي بن عبد الله النباهي[6] كما اتبعوا مذهب مالك بن أنس وطاعة للأمراء ثابتة[7]، إذ تعد الحركة الفكرية والأدبية [8]، كذلك بعد

---

[1] شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح ، حمزة أحمد عباس ، المجمع الثقافي، أبوظبي الإمارات المتحدة العربية ، د ط، 1423هـ 2002م، ص 230

[2] أبو زيد ولي الدين بن عبد الرحمن بن محمد الاشبيلي التونسي القاهري المالكي ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، اعتني به أبو صيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية ، دط ، دم ، دت ، ص 184

[3] حدود داوود الحسين ، لسان الدين بن الخطيب، المرجع السابق ص 10-11

[4] سماح حرزلي ، المرجع السابق ، ص 13.

[5] نفسه ، ص 13

[6] حسن لزنك ، الجوانب الاجتماعية في غرناطة، المرجع السابق ، ص 31

[7] ابن الخطيب ، اللمحة البدرية ، المصدر السابق ، ص 27

[8] محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام في الأندلس، العصر الثالث عصر المرابطين و الموحدين في المغرب و الأندلس ، مكتبة الخانجي، ط2، 1411هـ -1990 م ، القاهرة ، د.ت ، ص ص444 - 445

سقوط المدن المغربية اكتسبت غرناطة رصيدا حضاريا كبيرا وأصبحت مدن بني الأحمر للحضارة الأندلسية بفضل تنوعها العرقي والديني [1]، كما ارتبطت الحياة الثقافية في الأندلس بالمغرب بحواضره العلمية مثل فاس[2] وتلمسان[3] و بجاية[4] و تونس [5].

ومن خلال ما سبق نستنتج أن قبيل الطاعون الأسود1348م، عانت مملكة غرناطة ضغوطاً سياسية من قشتالة، واقتصادياً اعتمدت على الزراعة المتطورة بفضل أنظمة الري حول نهر شنيل، أما اجتماعياً فقد ساد تفاوت طبقي حاد بين النخبة الحضرية المستفيدة من الثروة، وثقافيا شهدت اشعاعاً طبياً محدوداً.

[1] حسن لزنك ، الجوانب الاجتماعية في غرناطة ، المرجع السابق ، ص 25

[2] فاس: بلد معروف أصله بالفارسية بارس بالباء يضم عشر كور منها سابور ومطفروازدشير وأرجان و غيرها . ينظر: الحميري ، الورض الورض المعطار في خبر الأقطار ، المصدر السابق، ص 434

[3] تلمسان : هي مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة و مياه غزيرة و هي كثيرة الزرع و الضرع و لها أعمال كثيرة وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من الحرارات و الأبدان و أحاريم الصوف و السفاسير المناديل المكلكة و غير ذلك . ينظر : الزهراوي ، الجعرافية ، المصدر السابق ، ص 113

[4] بجاية : قاعدة الغرب الأوسط ، مدينة عظيمة على ضفة البحر يضرب سورها و هي على طرف بحر و لها من جهة الشمال جبل يسمى أسيول وهي عين بلاد بني حماد و السفن إليها متكررة . ينظر:الحميري الروض المعطار ، المصدر السابق، ص80

[5] تونس : مدينة بإفريقية محدثة إسلامية ، و أنها أحدثت عام ثمانين ، و هي اليوم قاعدة البلاد الإفريقية وأم البلاد و حضرة السلاطين السلاطين . ينظر:الحميري، الروض المعطار، المصدر نفسه، ص 143

الفصل الأول:

الطاعون بين المفهوم والامتداد

- **المبحث الأول : مفاهيم الطاعون**
- **المبحث الثاني : المسار التاريخي لموجة الأوبئة التي عصفت بلاد الأندلس**
- **المبحث الثالث: الطواعين الكبرى حتى القرن الثامن هجري : أنواعها ومسارها**

يعد الطاعون أحد أشد الأوبئة ، حيث تسبب ذلك الوباء بحصاد ملايين الأرواح عبر واختلفت تعريفاته فهو يعد في المجمل مرضاً قاتلاً يظهر بأشكال متعددة وقد شهدت بلاد المشرق كغيرها من مناطق العالم موجات مدمرة من هذا الوباء عامة وكان لبلاد الأندلس نصيب كبير منها.

وسنتناول في هذا الفصل تقديم نظرة أولية حول مفهوم الطاعون لغوياً واصطلاحياً، مع التفصيل في أنواعه، ومسار انتشاره في البلاد الإسلامية وصولاً إلى بلاد الأندلس.

-المبحث الأول: مفاهيم الطاعون:

أ – الطاعون لغة:

من الناحية اللغوية يشتق مصطلح الطاعون من الجذر "طعن"، ويصاغ على وزن "فاعول"[1]، مع جمع غير قياسي هو "طواعين"[2]، وهي تدل في الأصل على الطعن بالرمح أو السلاح[3]، إذ يطلق الطاعون على ذلك المرض الوبائي المعروف الذي يصيب الناس على نطاق واسع ويسبب وفيات كثيرة.[4] وقيل إنه يطلق على وباء معين أو على أي وباء عام يؤدي إلى موت الكثيرين[5].

والطعن أيضا: "الفعل بالرمح والطاعون المرض العام والوباء الذي يفسد له الهواء، فتفسد به الأمزجة والأبدان"[6]، حيث يطلق على المصاب به "مطعون[7]"

---

[1]أحمد علي بن حجر العسقلاني بذل الطاعون في فضل الطاعون ، تح ، أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، دط ، الرياض، المملكة العربية السعودية، دت ، ص 95

[2]أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد سريلانكا، عظماء ماتوا بالطواعين والأوبئة، الرياض، دت ، ص 6

[3]أبو الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب ، دح ، دار صادر، ط3 ، ج 13 ، بيروت، لبنان ، ص 265

[4]فؤاد بن احمد عطاء اللهّ ، "خلاصة ما رواه الواعون في الأخبار الواردة في الطاعون لمحمد بن عبد العظيم الحمصي الشافعي المشهور بابن عتيق الحمصي (ت1088 هـ)" مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 15، العدد 1 ، السداسي الأول ، 2020- 2021م، ص 151

[5]أبو محمد طاهر بن محمد صريم السماوي، تاريخ الأوبئة والطواعين أهوال مخيفة وحوادث مرعبة ، دار الإيمان المتحدة، دط، دم ، ص07

[6]محمد الدين أبي السعادات مبارك ابن محمد الجزري ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تح، أحمد زدا و محمد الطناجي ، المكتبة الإسلامية، ج3، د م ، د ت ، ص 127

[7]فؤاد أحمد عطاء الله ، "يوسف بن محمد بن مسعود السرمري الحنبلي مخطوط ذكر الوباء والطاعون"، مجلة رفوف، المجلد 08 ، العدد الثاني، ص 14

إذ يقول الشاعر هنا : " فَبتُ كَأَنِي حَرَجٌ لَعَين نَفَاهُ النَّاسُ أَوْ دَنَّسَ طَعينٌ"[1]

ويحمل الطعن دلالة ثانوية مرتبطة بضعف أو تآكل الأسنان وهو ما يعبر عنه أيضا بمصطلح "الطعنان "[2] "وقول ما لا يقال وطعن في المفازة يطعن ويطعن أيضا أي ذهب "[3]، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " فَنَاءُ أُمَتي بالطَّعْن وَالطَّاعُون، قالوا:يا رسول الله هَذا الطَّعْنُ قَدْ عَرَفْنَاهُ فَمَا الطَّاعُونُ ؟ قال : وَخزَ إخْوانُكُمْ منَ الجنَّ"[4]

يعتبر الطاعون من المظاهر المرضية التي أثرت في مختلف شعوب العالم عبر التاريخ. لم يقتصر أثره على الجوانب الصحية فقط، بل تجاوز ذلك ليترك إرثاً ثقافياً وحضارياً، تجسد فيه ما يعرف "بأدب الطواعين"[5].

[1] فؤاد بن أحمد عطاء الله ، فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون ، دراسة بيبلوغرافية "، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، كلية الشريعة والقانون، المجلد09، العدد 04 ، 2020 ، ص 553

[2] محمد بن عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، تح، يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية، ط5 ، مطبعة الأميرية القاهرة ، 1335 هـ - م1120، بيروت، لبنان ، 1999 ، ص 393

[3] بن حماد أبو نصر إسماعيل الجوهري ، الصحاح ، تح ، أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، ط4، بيروت، لبنان، 1407هـ -1987م، ص2158

[4] بدر الدين العيني ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، دم ، ج 21، د ت، ص 256

[5] تريكي فتيحة ، النباتات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط ، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم علوم في التاريخ الوسيط، بإشراف، عبد القادر بوبابية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران ، 1442هـ/2020-2021م ، ص 312

ومن خلال التعاريف السابقة نستنتج أن معنى الطاعون في اللغة مرض شديد يصيب الإنسان بسرعة، وسمي طاعونا لأنه يشبه الطعن في شدته وأثره المفاجئ.

ب- الطاعون اصطلاحا:

الطاعون هو ذلك الوباء القاتل الذي ينشر الرعب في النفوس[1]، حيث يعد من أشد الأمراض فتكاً[2]، فهو ينشأ نتيجة تلوث الجو وفساده[3]، فتظهر على الجلد بثورا ملتهبة وتورمات مشوهة تنذر بالخطر[4]، ويكثر انتشاره في زمن الحروب والدمار[5]، فهو ليس مجرد مرض ، بل مادة سمية تسلل إلى الجسد [6].

[1]فؤاد احمد عطاء الله ، "مخطوط عن مواقع الوباء للإدريسي بن حسام الدين البدليسي الحنفي(ت 930 هـ)" ، مجلة الحوار الثقافي، 2020 ، المجلد 09 ، العدد 02، ص14

[2]أبو المضهر جمال الدين يوسف بن محمد بن مسعود بن محمد السرمري ، كتاب ذكر فيه الوباء والطاعون، علق عليه و خرج أحاديثه، رفقي بن شوكت ، الدار الأثرية، ط1، عمان ، دمشق 1424_1425 هـ / 2004_2005 م ، ص 39

[3]محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تح ، عبد القادر قراج، وزارة الإرشاد والأنباء ، د ط، ج1، الكويت، 1955، ص478

[4]السرمري ، كتاب ذكر فيه الوباء والطاعون ، المصدر السابق، ص 25

[5]شمس الدين بن محمد بن أبي بكر ابن القيم ، الطب النبوي، تح، عبد الغني الخاق وآخرون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت، ص 30

[6]بن محمد زكريا الأنصاري ، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، تح: سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر و التوزيع ، ط1 ، ج9، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2005 ، ص32.

إذ يعرفه أبو الوليد الباجي " هو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات ..."[1]، فيظهر على شكل خراجات مؤلمة وقروح نتنة، تنتشر في أنحاء الجسم المختلفة[2]، وتتفاوت ألوان هذه الأورام بين الخضرة الداكنة[3] والسواد القاتم ، مصحوبة بأعراض مروعة كالغثيان والخفقان والتقيؤ ، لتترك الجسد منهكا [4]، فهذا المرض المخيف لا ينتقل إلا عبر لدغات البراغيث التي تعيش على أجساد الفئران[5]فتعد الفئران[5]فتعد العامل الرئيسي ، في نقل عدوى الطاعون إلى البشر[6]، وجاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال "غدَّة كَغدَّة الْبَعير تَخْرُجُ في المراقُ والآبَاط"[7]

يستهدف الغدد الليمفاوية في الجسم [8]، فينسب في تكاثر جرثومة اليرسينيا الطاعونية المسببة لهذا المرض القاتل[9]، وغالبا ما يظهر الطاعون على شكل ورم مؤلم في منطقة الإبط محاط باحمرار شديد

[1]أبو الوليد القاضي سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث الباجي الأندلسي ، كتاب المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، ط 1 ، ع 7، مصر، 1332هـ ، ص 198

[2]ابن القيم ، الطب النبوي، المصدر السابق ، ص30

[3]السرمري جمال الدين ، كتاب ذكر فيه الوباء والطاعون ، المصدر السابق ، ص25

[4]نفسه ، ص 25

[5]مرعى بن يوسف الكرمي ، ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون ، تقديم، خالد العربي مدرك ، دار البشائر الإسلامية ، ط1، بيروت ، لبنان، 2000 ، ص 07

[6]ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ص 21

[7]بدر الدين العيني ، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، ج 14، المصدر السابق ، ص126

[8]الحسين بن عبد الله ابن سينا ، القانون في الطب ، تح، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية ، ط1، ج3، بيروت ، لبنان لبنان ، 1999، ص 121

[9] بقرار منير، "أثر الطاعون على الوضع الديموغرافي والاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي مقاربة تاريخية (749هـ/1348م)"، مجلة الأفاق الفكرية، 2021، المجلد 09، العدد 02، ص25

وإسوداد مخيف يصاحبه اضطراب حاد في دقات القلب[1]، وهو ينشر عبر الهواء الملوث ليصبح خطرا يهدد الأرواح[2]، ومن أعراضه الواضحة تورم الغدد الليمفاوية في مناطق كالفخذين والإبطين والرقبة وخلف الأذن[3]، إضافة إلى الحمى الشديدة[4] التي تتحول إلى حمى وبائية قاتلة[5].

وجاء في تعريف ابن القيم الجوزية " أن الطواعين هي خراجات و قروح و أورام رديئة حادثة في المواضع هذه القروح والأورام والخراجات هي آثار الطاعون "[6]، وكذلك يعرفه جلال الدين السيوطي " أن أن الطاعون مادة سمية تحدث ورما قتالاً وأن سببه جوهر الهواء"[7]

خلف هذا الوباء عبر التاريخ موجات من الرعب والفزع بين الناس[8]، وبعد تطور الأجهزة والمعارف الطبية أصبح الطاعون ضمن الأمراض البكتيرية المعدية الخطيرة، وفي ذلك يعرفه الأستاذ يوسف خياط بقوله"مرض وبائي بسبب باسيل الطاعون يصيب الفئران وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى إلى الإنسان"[1]

---

[1] زكريا الأنصاري ، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، المصدر السابق، ص32

[2]أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي السلماني ابن الخطيب ، مقنعة السائل عن المرض الهائل تح وتقديم ، حياة قارة، دار الأمان الأمان ، ط1، الرباط ، 1436هـ 2015م ، ص65

[3]ابن الخطيب ، المصدر نفسه، ص 65

[4]بقرار منير، أثر الطاعون الأسود، المرجع السابق ، ص 25

[5]الحمى الوبائية: هي حمى عفن عن فساد الهواء وعلاماتها تكون مادية الظاهر مكرية الباطن يتبعها الاشتغال والنفس العظيم والعطش وجفوف اللسان والغشي ... .ينظر: ابن الخطيب الغرناطي ، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق ، ص66

[6]ابن القيم الجوزية ، الطب النبوي، المصدر السابق، ص30

[7] جلال الدين السيوطي ، ما رواه الواعون في أخبار الطاعون ، تح، محمد علي البار مكتبة الإمام السيوطي في الطب النبوي ، دار دار القلم ، دمشق، دت، ص 147

[8] الحسن بولقطيب، جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين ، دح ، منشورات الزمن ، د ط ، د م ن، د ت ، ص 51

كذلك يعرفه ابن الخطيب الغرناطي "هو مرض حاد، حار السبب سمي المادة "[2]إذ يصنف الطاعون ضمن الأوبئة الأكثر فتكا في التاريخ[3].

وبتعدد التعريفات وتنوعها ، نرى بأن الطاعون يبرز كواحد من أشد الأوبئة فتكاً بالبشرية ، حيث يعتبر سببه في غالب الأحيان حسب المصادر التاريخية تلوث الهواء وفساده. وهو ما كان شائعا قبل أن تكشف أسبابه الحقيقية في الفترة الحديثة.

ج_الفرق بين الوباء والطاعون:

هناك لبس كبير في التمييز بين مصطلحي الوباء والطاعون في بعض المصادر التاريخية من خلال العلاقة بين العام والخاص[4]، حيث يصنف كل طاعون على أنه وباء[5]، فالوباء هو مرض ينتشر بين عدد

---

[1]يوسف خياط ، معجم المصطلحات العلمية والفنية ، عربي فرنسي انجليزي لاتيني ، دار لسان العرب، بيروت ، لبنان ، د ت ص 415

[2]ابن الخطيب ،مقنعة السائل، المصدر السابق، ص 43

[3] ابن القيم الجوزية ، الطب النبوي ، المصدر السابق، ص 29

[4]مزدوزسمية ، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط (588 - 927 هـ - 1192- 1520م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، بإشراف، محمد الأمين بلغيث ، 2009، ص 20

[5] فؤاد عطاء الله ، فهرس المؤلفات في الوباء و الطاعون ، المرجع السابق ، ص 553

كبير من الناس[1]، ولكن ليس كل وباء يصنف كطاعون[2]، فطاعون يندرج تحت فئة الأوبئة كأحد أشكالها، الأكثر خطورة وتميزا [3]، ومن أعراض الوباء ظهور حمى خبيثة وغيرها من العلامات المرضية[4].

ويعد مرض الجدري والحصبة من الأمراض الوبائية التي تنتشر بين البشر[5]، كذلك " ووبئت الأرض فهي وبئة ووبيئة موبئة"[6]، فالطاعون، يتميز باضطراب في الدم ، يؤدي إلى تورم عام في الجسم[7]، كما كما تسمى بعض الأمراض الوبائية بالطاعون نظرا للتشابه في بعض الأعراض و آليات الإنتشار[8]

ضربت ، أوبئة الطاعون العالم عبر العصور بشراسة حتى عرف بالموت الأسود[1]، وتشمل الأوبئة أنواعا متعددة من الأمراض ، بينما يبقى الطاعون أحد أنواعها[2]، إذ يختلف هذا المرض عن الأمراض المزمنة[3].وفي العنصر الموالي ،نتناول أهم الأوبئة التي ضربت بلاد الأندلس.

---

[1] مجموعة من العلماء ، الموسوعة العربية العالمية ، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر و التوزيع ، ط1، ج27 ، الرياض ، المملكة العربية السعودية، 1999، ص 48

[2] ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص 30

[3] فؤاد بن أحمد عطاء الله ، ما رواه الواعون في الأخبار الواردة في الطاعون، المرجع السابق، ص152

[4] بقرار منير، أثر الطاعون الأسود، المرجع السابق، ص 21

[5] عيد صباح حمدان المناجعة ، المجاعات و الأوبئة و الأمراض و الكوارث الطبيعية في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (92-897هـ/711-1492م)، رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في التاريخ ، بإشراف ، محمد نايف العمايرة، قسم التاريخ ، جامعة مؤتة ، 2014 ، ص 59

[6] الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، تح : مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، د ت ، ص 55

[7] خليفة أشرف السيوطي ، الأحكام الفقهية متعلقة بأحكام فيروس كورونا ، دار اللؤلؤة المنصورة ، مصر، ص 19

[8] محمد ويدوس سيمبوالبوغيسيالأزهري ، عواصف الأوبئة القاتلة من الطاعون إلى فيروس كورونا (دراسة موضوعية في فقه الحديث و التاريخ) ، دار الكتاب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1971، ص 09

المبحث الثاني: المسار التاريخي لموجة الأوبئة التي عصفت ببلاد الأندلس:

عرفت الأندلس عبر تاريخها انتشار أوبئة متفرقة، لم تكن جميعها من الطواعين، بل نشأت غالبا نتيجة لما عانته البلاد من فاقة، وحروب، وقحط، ومجاعات، وقد كانت هذه الأوبئة أكثر تأثيراً في الفئات الضعيفة والمعدمة من السكان، حيث أودت بحياة الكثيرين من الناس.

وسنعرض فيما يلي بعض هذه الأوبئة كما وردت في المصادر التاريخية.

لقد شهدت فترة عصر الولاة (95-138هـ/714-755م) [4]،في الأندلس موجة وباء قوية ضربت أراضيها . أما في عهد الإمارة الأموية أشار ابن عذارى في كتابه البيان المغرب إلى الوباء الذي اجتاح بلاد الأندلس موثقا تفاصيل انتشاره وأثاره على المنطقة "ثم اتبع الله الأندلس بعد ذلك بالوباء والموت في السنة الثانية حتى كاد الخلق أن ينقرض منها"[5]،ويتضح هنا أن عدد الضحايا الذين توفوا بهذا

---

[1] شيماء عبد الحميد البنا ، "المجاعات و الأوبئة بالأندلس و أثارها في ضوء المصادر العربية بالفترة من 138هـ /756 م – 422هـ /1031م" ، حولية كلية اللغة العربية، (العدد الثالث و الثلاثون)، ص 4662

[2] صديقي محمد ، الأمراض و الخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي مابين القرنين 5 و7 هـ 11 و 13م ، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه بالتاريخ الوسيط ، بإشراف ، عاشور يقمعون كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية ، قسم العلوم الإنسانية ، جامعة الشهيد حمة لخضر ، الوادي 2020-2021 ، ص 39

[3] قطب خالد، "التأسيس المعرفي لنظرية العدوى عند ابن خاتمة الأنصاري الأندلسي" مجلة أنساق، المجلد السادس، العدد الأول ، 2022 ، ص 69

[4] عيد صباح المناجعة، المجاعات والأوبئة، المرجع السابق، ص59

[5] ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، تح، كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، ، ج2، ط2، بيروت، لبنان، 1980، ص37

الوباء كانوا بأكثرية كبيرة[1]، أما في عام139هـ/756م فقد تفشى الطاعون في إفريقية مستمرا لسبع سنوات كاملة[2]، كما سجل المؤرخ ابن عذارى في كتباتها التاريخية"فوقع الطاعون بافريقية سبع سنين لايكاد يرتفع إلا مرة في الشتاء ومرة في الصيف"[3]، لاشك أن الطاعون الذي اجتاح إفريقية لمدة سبع سنوات ترك تداعيات عميقة على الأندلس، حيث امتدت آثاره ليؤثر على جميع جوانب الحياة فيها[4].

في عهد الأمير عبد الرحمن وذلك في سنة(260هـ/873م)[5]، حيث انتشرت العدوى بشكل واسع[6]، مصاحبة بارتفاع حاد في الأسعار وندرة حادة في الموارد الغذائية[7]، مما فجر أزمة غلاء طالت بلاد المغرب والأندلس وإفريقية ومصر والحجاز[8]، سجلت أحداث كارثية في تلك الفترة، حيث تفشت مظاهر الفساد على نطاق عالمي[9]، وصادف العام نفسه وفاة العالم والفقيه محمد إبراهيم بن عبدوس[10].

---

[1]المناجعة ، المجاعات والأوبئة، المرجع السابق، ص59

[2]المناجعة، المجاعات والأوبئة، المرجع نفسه، ص63

[3]ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج1، المصدر السابق، ص60

[4]المناجعة، المجاعات والأوبئة ، المرجع السابق، ص63

[5]نغم عدنان أحمد الكركجي، الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة(91هـ-897م/711هـ-1492م)، دار دار الكتاب الثقافي، دط، دن، د ت، ص71

[6]المناجعة، المرجع السابق، ص60

[7]نغم عدنان الكركجي، المرجع السابق، ص71

[8]الحجاز: سمي الحجاز حجازا لأنه حجز بين الغور والشام وقيل حجز بين نجد والسراة ، وقالوا: بلاد العرب من الجزيرة التي نزلوها على على خمسة أقسام: تهامة والحجاز ونجد العروض وجبل السراة هو الحد بين تهامة ونجد، لأنه أقبل من اليمن وهو أعظم جبال العرب حتى بلغ أطراف بوادي الشام فسمته العرب حجازا.ينظر:الحميري، الروض المعطار، ص188

[9]المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ، ج1، ط4بيروت، لبنان، دت، ص80

[10]ابن عذارى المراكشي، ج1، المصدر السابق، ص116

أما في عام285هـ فتعرضت المنطقة لمجاعة قاسية بلغت ذروتها حتى أن الناس أكلت بعضها البعض[1]، كما وثق ابن أبي زرع تفاصيل هذه الكارثة المروعة في كتباته، مسلطا الضوء على آثارها المدمرة"ثم أعقب ذلك وباء ومرض وموت كثير هلك فيها من الناس مالا يحصى فكان يدفن في القبر الواحد أعدادا من الناس...وكانوا يدفنون من غير غسل ولا صلاة"[2].

وفي سنة (288هـ/900م)عانت الأندلس من تفشي وباء كارثي أعقب مجاعة طاحنة ضربت المنطقة[3] مما فاقم الأزمة الإنسانية بسبب استمرار القحط والجفاف، بلغت هذه المحنة ذروتها خلال عامي(302-303هـ/914-915م)حيث امتدت آثارها الكارثية لتهز أركان المجتمع في الأندلس حيث تفاقم عدد الموتى[4] ووصلت المجاعة بالأندلس[5] إلى درجات قياسية من البؤس والآلام [6]، بينما اجتاح الوباء مدينة قرطبة بعنف مخلفا وراءه ارتفاعا حادا في أعداد الضحايا[7]، ترجح الدراسات أن هذا الوباء كان طاعونا[8]، حيث يشير هذا المصدر إلى شهادة وردت في سيرة أحمد بن بَيْطير القرطبي الملقب

[1]ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح، كارل يوحنا، دار النشر المدرسية، ج1، السويد، 1843، ص60

[2]ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ج1، المصدر نفسه، ص60

[3]المناجعة، المجاعات والأوبئة، المرجع السابق، ص ، 60

[4]نغم عدنان الكركجي، الأزمات الاقتصادية في الأندلس، المرجع السابق، ص42

[5]المناجعة، المجاعات و الأوبئة، المرجع السابق، ص61

[6]ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، ج1، المصدر السابق، ص ص، 167-168

[7]ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دط، دم ، د ت، ص226

[8]نغم عدنان الكركجي، الأزمات الاقتصادية في الأندلس، المرجع السابق، ص71

بمولى بن يوسف بن مطروح الذي وافته المنية إثر إصابته بالطاعون سنة303هـ[1]، وفي خضم هذه الكارثة، كشف الخليفة الناصر لدين الله جهود الإغاثة فأمر بتوزيع الصدقات على نطاق واسع لتخفيف معاناة المحتاجين[2]، غير أن الطاعون توسع ليغطي كامل أرجاء الأندلس والمغرب و إفريقية[3].

شهدت سنة307هـ/919م موجة وبائية عاتية ضربت هذه المناطق بقوة مخلفة دمارا شاملا[4]، وتسبب هذا الوباء في وفاة أعداد هائلة من السكان، لدرجة عجز الناجون عن دفن الضحايا لضخامة ضحايا[5]، وفي المغرب اجتاحت رياح عاتية المنطقة فاقتلعت الأشجار ودمرت المنازل والمساجد، مما دفع المجتمع إلى التخلي عن العديد من الممارسات المنحرفة والفاسدة[6].

وفي الفترة الممتدة بين عامي316هـ/928م و422هـ/1030م والتي شهدت إعلان عبد الرحمن الثالث نفسه خليفة[7]، تفشت الأوبئة بشكل ملحوظ، لاسيما في عام355هـ/946م[8]، وفي سياق هذه

---

[1] ابن الفرضي ، تاريخ علماء الأندلس، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، دار الكتاب لبناني، ج1، ط2، القاهرة، بيروت، 1989م، ص ص، 69-70

[2] ابن حيان القرطبي، المقتبس، اعتنى بنشره، ب.شالميتا، المعهد الاسباني العربي للثقافة، كلية الآداب بالرباط، ج5، مدريد، 1979، ص109

[3] الكركجي، الأزمات الاقتصادية، المرجع السابق، ص72

[4] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص62

[5] الكركجي، الأزمات الاقتصادية ، المرجع السابق، ص72

[6] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، المصدر السابق، ص62

[7] فائزة حمزة عثمان الصوفي، التحديات الخارجية للأندلس في عصر الإمارة(138-316هـ/755-928م)، دار زهران للنشر والتوزيع، والتوزيع، ط1، دم ، 2014، ص44

[8] المناجعة ، المجاعات والأوبئة ، المرجع السابق، ص63

الأحداث توفي القاضي أحمد بن دحيم بالطاعون عام ثمان وثلاثين وثلاث مائة، كما توفي صاحب السيرة الذاتية(المترجم له)في العام ذاته ويشير هذا المصدر وفقا للمصادر التاريخية التي أرخت لتلك الحقبة "ولاه الناصر أحكام القضاة بطليطلة ولم يزل قاضيا إلا أن توفي رحمه الله بالطاعون"[1]حيث كان الفقيه عالما بارزا ومن حفظة مذهب الإمام مالك[2].

وشهدت سنة 344هـ/955م[3] مضرب وباء كارثي أقاليم الأندلس والمغرب الإسلامي مخلفا وراءه خسائر بشرية فادحة حيث فقدت المنطقة أعدادا هائلة من سكانها[4].

وفي عام373هـ/983م اجتاح وباء شديد الوطأة مناطق المغرب العربي والأندلس حيث سجلت معدلات وفيات قياسية أفرزت أزمة إنسانية غير مسبوقة[5] وفقا للوثائق التاريخية التي أرخت لتلك الفترة رافق تفشي الوباء هبوط لأمطار غزيرة تسببت في فيضانات عارمة[6].

وتمثلت سنة 401هـ/1010م في اندلاع أحداث الفتنة القرطبية الدامية[7] تزامن تزامنا مع مجاعة طاحنة[1] وموجة غلاء جنونية ، حتى عجز السكان عن تأمين أبسط احتياجاتهم المعيشية[2] اجتاح

[1]ابن الفرضي ،تاريخ علماء، ج1، المصدر السابق، ص47
[2]نغم عدنان الكركجي، الأزمات الاقتصادية، المرجع السابق، ص72
[3]المناجعة، المرجع السابق، ص63
[4]نغم عدنان الكركجي، الأزمات الاقتصادية، المرجع السابق، ص72
[5]المرجع نفسه، ص72
[6]نفسه، ص72
[7]نغم عدنان الكركجي، المرجع السابق، ص72

الطاعون أقاليم الأندلس متوسعا حتى بلغ مدينة قرطبة مركز الحضارة والعلم آنذاك"أهل قرطبة أكلوا الميتة"[3]، ارتبط تفشي الطاعون في قرطبة بأحداث الفتنة التي اجتاحها[4]، مما أسفر عن خسائر بشرية جسيمة [5]كما يلاحظ المؤرخ ابن حزم في تحليله لتلك الحقبة"توفي أخي رحمه الله في الطاعون الواقع بقرطبة...وهو ابن اثنتين وعشرين سنة"[6].

وفي عام 451هـ1059م يوثق ابن بشكوال في ترجمته للسيد خلف بن يوسف المقرئ البربشتري ما أورده الأخير من ملاحظات حول هذه الأحداث إذ يقول"وتوفي في لعشر خلون من شهر رمضان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة في الطاعون"[7].

عم الطاعون أرض المغرب الأقصى سنة 571هـ-1175م[8]، واشتد هذا الوباء إلا أن بلغت ضحاياه حوالي مئتي شخص[1] إذ ضاق بهم المسجد الجامع في مدينة مراكش[2]، وتوفي موسى بن عبد

---

[1]الكركجي، المرجع نفسه، ص83

[2]عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي(92-422هـ/711-1031م)؛دن، د ط، وهران، ص493

[3]عبد القادر بوباية، البربر في الأندلس ، المرجع السابق، ص493

[4]الكركجي، المرجع السابق، ص72

[5]بوباية عبد القادر، المرجع السابق، ص493

[6]أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، طوق الحمامة في الآلفة والآلاف، تح: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ج1، ط2، بيروت، لبنان، 1987، ص117

[7]أبو القاسم ابن بشكوال، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهر، دار الكتاب لبناني، بيروت، ج1، ط1، 1989م، ص270

[8]المناجعة المجاعات والأوبئة، المرجع السابق، ص65

المؤمن بالطاعون الجارف في مراكش"بسبب كثرة الموتى أمر الخليفة المنصور الموحدي أن يصلى عليهم في سائر المساجد رفقا في الناس بذلك"[3]، واستمر هذا الطاعون مدة عام بالمغرب الأقصى[4]، وعرفت سنة 640هـ غلاء وهذا دافع أساسي حفز أهل البلاد على الهرب بسبب تدهور الأحوال[5].

تكشف هذه الأوبئة التي عصفت بالأندلس عن مدى تعرض المنطقة للأمراض الفتاكة، مما يمهد لفهم الطواعين الكبرى التي عرفها العالم أجمع، بدءاً بطاعون جستنيان في البحر المتوسط، ثم طاعون عمواس، وانتهاءً بالطاعون الأسود الذي اجتاح الأندلس سنة749هـ.

[1]نغم عدنان الكركجي، الأزمات الاقتصادية ، المرجع السابق، ص440

[2]آل برجل أحمد سيد حامد، 1000معلومة عن الأندلس الفردوس المفقود، دار الفضيلة، القاهرة، ص272

[3]البهجي إيناس حسني، تاريخ دولة الأندلس، مركز الكتاب الأكاديمي، د ط، عمان، الأردن، 2018، ص444

[4]شخوم سعدي، "منظومة العلاج في المعرفة الصحية بتلمسان الوسيطية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد 07، العدد02، ديسمبر، 2021، ص38

[5]عاشور مروه محمد عبد الرحيم، تأثير الصحة والبيئة على المجتمع الأندلسي، دط، الإسكندرية، 2023، ص61

المبحث الثالث: الطواعين الكبرى حتى القرن الثامن الهجري: أنواعها و مسارها الوبائي:

أ_ أنواع الطاعون:

لقد تعددت أشكال الطاعون بتنوع أعراضه، فكل نوع يحمل بصمة مرضية فريدة.

1- الطاعون اللمفاوي الورمي الدملي(peste bubonique):

يتميز الطاعون الدملي بتضخم مؤلم[1] في العقد اللمفاوية [2]، حيث تتحول الى خراجات ملتهبة [3]، ويظهر هذا النوع غالبا في المناطق الرخوة من الجسم[4]، تتنقل العدوى به عن طريق البراغيث الحاملة للبكتيريا والتي تنقلها من القوارض إلى البشر[5]، ومن أبرز أعراضه ظهور تورمات كبيرة في مناطق الغدد اللمفاوية، خاصة في منطقة الفخذين[6]وفي غالب الأحيان يكون تحت لإبط [7] يعد هذا النوع الأكثر انتشارًا من الطاعون حيث ينتقل عبر عضة برغوث حامل للعدوى إذ تغزو بكتيريا اليرسينيا الطاعونية، الجسم عبر الجهاز اللمفاوي لتستقر في العقد اللمفاوية القريبة وتتكاثر فيها إذ

[1] روبرت .س جو تفريد ، الموت الأسود جائحة طبيعية وبشرية في عالم العصور الوسطى ، ترجمة وتقديم ، أبو أدهم عبادة كحيلة ، المركز القومي للترجمة ، ط 1 ، القاهرة ، 2017 ، ص 33

[2] ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، المصدر السابق ، ص 22

[3] مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة ، المرجع السابق ، ص 22

[4] ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون ، المصدر السابق ، ص 22

[5] أحمد العدوي ، الطاعون في العصر الأموي صفحات مجهولة من تاريخ الخلافة ، دم، د ت ، ص 02

[6] بقرار منير ، أثر الطاعون الأسود ، المرجع السابق ، ص 25

[7] حسام محمود المحلاوي ، "الطاعون الأسود (748-752هـ /1347-1351م) بين الطبيب الأندلس بن خاتمة الأنصاري (ت770هـ /1369م)" ، مجلة وقائع تاريخية، عدد يوليو، 2020، الجزء الثاني ، ص 47

يؤدي إلى التهاب العقد وتورمها فتصبح مؤلمة ومتورمة تسمى الدمل وقد تتطور في الحالات المتقدمة إلى خراجات مليئة بالقيح [1]، ويعد هذا المرض فتاكا بدرجة كبيرة ، حيث يحمل معدل وفيات مرتفعا[2]، إذ ترتفع درجة المصاب بشكل حاد لتصل إلى40 درجة مئوية أو تتجاوزها[3] و تبدأ أعراض الطاعون الدملي بالظهور خلال فترة تتراوح بين يومين إلى ستة أيام بعد العدوى[4].

2- الطاعون الرئوي(Peste Pneumonique) :

يستهدف هذا النوع الرئتين بشكل مباشر ومميت[5]، ينتشر هذا النوع عبر العدوى المباشرة من شخص لآخر[6]، حيث ينشأ المرض بالتهاب رئوي حاد يتطور بسرعة قاتلة[7]، ويعد من أشد أنواع الطاعون فتكا[8]حيث يؤدي إلى الوفاة في غضون يوم واحد إلى أربعة أيام فقط[9]، وتشمل أعراضه سعالا سعالا دمويا ، وزلة تنفسية حادة ، وإختناقا متصاعدا[10]، حيث لا يوجد لقاح فعال أو علاج ناجع لهذا

[1] جمال بوطي، "وباء الطاعون الأسود وانعكاساته على المجتمع الجزائري خلال القرنين 14 و15م" ، مجلة ق آفاق فكرية، المجلد 09، العدد 02 ، خاص 2021 ، ص ص 220-221

[2] ابن حجر العسقلاني ، بدل الماعون في فصل الطاعون ، المصدر السابق ، ص 22

[3] السرمري جمال الدين ، كتاب ذكر فيه الوباء و الطاعون ، المصدر السابق ، ص 11

[4] الأزهري ، عواصف الأوبئة القاتلة من الطاعون ، المرجع السابق ، ص 10

[5] ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون، المصدر السابق، ص 23

[6] روبرت .س جوتفريد، الموت الأسود، المرجع السابق ، ص 34

[7] ابن حجر العسقلاني ، المصدر السابق ، ص 23

[8] مزدور سمية ، المرجع السابق ، ص 21

[9] أحمد العدوي ، الطاعون في العصر الأموي ، المرجع السابق ، ص 02

[10] بقرار منير ، أثر الطاعون الأسود ، المرجع السابق ، ص 25

النوع القاتل[1]

كما أن الشخص المصاب به ينقل العدوى إلى أخريين[2]إذ ينتقل عبر الهواء عند سعال أو عطاس المريض، المريض، حاملا البكتيريا في القطيرات التنفسية وإذا ترك المصاب به دون تشخيص أو علاج مبكر يصبح ناقلاً فعالاً للمرض بمجرد ظهور الأعراض عليه[3]

3- الطاعون التسممي :(peste septicémique):

ويعرف أيضا بالتعفن الدموي ، تغزو البكتيريا مجرى الدم بشراسة مسببة تسمما دمويا حادا[4]، وتظهر بقع جلدية لافتة في غضون ساعات قليلة من العدوى[5]، وتتمثل أعراضه في ارتفاع حرارة الجسم بشكل مفاجئ، بينما ينخفض ضغط الدم إلى مستويات خطيرة[6]، وتنتشر تقرحات غامقة اللون على الجلد كعلامة فارقة للمرض[7]، كما يتمثل في تلوث الدم[8]، إذ يصيب المريض بانهيار جسدي شامل،

[1]أحمد العدوي ، الطاعون في العصر الأموي ، المرجع السابق ، ص 02

[2] عبد العال محمد فتحي ، تأملات بين العلم و الدين و الحضارة ، دار الميدان للنشر و التوزيع ، دم ، د ط ، د ت ، ص 75

[3] جمال بوطي ، وباء الطاعون الأسود و انعكاساته، المرجع السابق ، ص 221

[4]ابن حجر العسقلاني ، بذل الماعون في فضل الطاعون، المصدر السابق، ص 24.

[5]روبرت . س جوتفريد ، الموت الأسود ، المرجع السابق ، ص 34

[6] بقرار منير ، أثر الطاعون الأسود ، المرجع السابق ، ص 25

[7]مزدور سمية ، المجاعات و الأوبئة ، المرجع السابق ، ص 22

[8]الأزهري، عواصف الأوبئة القاتلة ،المرجع السابق، ص11

يتلف المرض خلايا الدماغ [1]ويحدث المرض جفافا حادا في الدم، محولا إياه إلى كتلة لزجة تعجل بالوفاة واشتهر هذا النوع عبر التاريخ باسم الطاعون الأسود[2].

ب_ المسارات التاريخية للطواعين الكبرى حتى القرن الثامن الهجري:

1)طاعون جُستنيان (justinian):

ظهر طاعون جستنيان لأول مرة في مصر عام 541م، وانتقل عبر ميناء الإسكندرية إلى القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الجستنيان (527_565م)، والذي أصيب بالمرض لكنه تعافى، وسمي الطاعون باسمه، وسريعا ما اجتاحت الجائحة الإمبراطورية الساسانية ومعظم مدن حوض البحر المتوسط[3]، تشير التقديرات إلى أن الطاعون حصد أرواح ما بين 30إلى 50 مليون شخص أي ما بين نصف سكان العالم آنذاك[4].وقد أضعف الضربات المتكررة للإمبراطورية البيزنطية في لحظات حرجة ووصل تأثيره بشكل دوري حتى

[1] عبد العزيز السمري ، مواجهة الأوبئة، دح، دن، دم ، د ط، د ت، ص18

خلف الله شعبان ، الميكروبات والحرب البيولوجية ، دار اليازوري ، دم ، د ط ، د ت، ص98[2]

[3]طيطح نصيرة، "تاريخ الأوبئة والمنظمة العالمية للصحة(LONS)"، مجلة سلسلة الأنوار، المجلد 12، العدد 01، 20ماي2022، ص196.

[4]المرجع نفسه، ص196

القرن الثامن الميلادي[1]، وبعد أن ضرب العاصمة البيزنطية بعنف بدأ الطاعون يتراجع فجأة بشكل غامض من أراضي الإمبراطورية[2] مخلفاً تأثيراً عميقاً على مسار التاريخي الأوروبي اللاحق[3].

2) طاعون عمواس:

في المراحل المبكرة للعصر الإسلامي، شهدت مناطق المشرق انتشارا متتاليا لأولى موجات الطاعون حيث يعد وباء عمواس الذي ضرب بلاد الشام من أبرز الأحداث في تلك الحقبة[4] في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه[5]، تنسب بداية تفشي الطاعون إلى قرية عمواس إحدى القرى الشامية الواقعة

[1]أبو بكر حسني عيسى أحمد سرحان، "طاعون جستنيان ومصر الإمبراطورية الرومانية(541_750م)، جامعة القاهرة، العدد الأربعون، الإصدار الأول، 2021، ص2447

[2]موسى رجب عبد المجيد عبد الحي، طاعون جستنيان(541_543م)، وآثاره على الدولة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، 2021، ص148.

[3]أبو بكر حسنيي، طاعون جستنيان، المرجع السابق، ص2440

[4]السيد محمد بن رسول الحسيني البرزنجي ، الاشاعة لأشراط الساعة، تح، محمود عمر الدمياطي ، دار الكتب العلمية ، د ط ، بيروت، لبنان، 1971 ، ص 56

[5]الشيخ أبي النجا سالم بن محمد عز الدين بن محمد المصري النهوري ، تسير الملك الجليل لجمع الشروح و حواشي خليل في الفقه المالكي، تح، عبد المحسن العتال ، دن ، ج5، د ط، د ت ، ص22

بين مدينتي الرملة و بيت المقدس ، والتي ارتبط اسمها تاريخيا بانتشار هذا الوباء[1]، امتد انتشار طاعون عمواس ليشمل مناطق الأردن وفلسطين[2].

أسفرت تلك الحادثة عن استشهاد خمسة وعشرين ألف جندي من صفوف الجيش الإسلامي خلال تفشي الوباء[3] في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقدت الساحة الإسلامية أرواحا كثيرة[4] ومن أشهر الصحابة رضوان الله عليهم الذين توفوا في الطاعون نذكر أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه[5] عنه[5] ومعاذ بن جبل[6] والحارث بن سالم العنسي وشرحبيل بن حسنة[7]، إضافة إلى غيرهم من الصحابة الصحابة وأخيار المسلمين . ومما قيل في طاعون عمواس من الشعر:

رُبَّ حَرْفٍ مِثْلَ الهِلَالِ وَبَيْضَاءَ حِصَانٌ بِالجَزْعِ مِنْ عَمْوَاسِ

قَدْ لَقُوا اللهَ غَيْرَ بَاغٍ عَلَيْهِمُ ثُمَّ أَضْحَوا فِي غَيْرِ دَارِ الِتَناسِي

---

[1] الحميري ، الروض المعطار في خير الأقطار، ج 3، المصدر السابق ، ص 22.

[2] أبي مروان عبد الملك بن الكردبوسالتوزي ، "من علماء القرن السادس الهجري "الإكتفاء في أخبار الحلفاء ، تح ، الدكتور عبد القادر بوباية ، دار الكتب العلمية ، ج1 ، د ط ، بيروت ، لبنان ، 1971 ص 85.

[3] البرزنجي، الإشاعة لأشراط الساعة ، المصدر السابق ، ص57

[4] الإمام الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي ابن عساكر ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وشعبة من حلها من الأماثل أو اجتياز بنواحيها من وارديها وأهلها ، تح ، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية ، ج32، د ط ، بيروت ، لبنان، 1971 ص 136.

[5] الحميري ، الروض المعطار في خير الاقطار، المصدر السابق ، ص 22

[6] ابن محمد المصري النهوري ، تسير الملك الجليل لجمع الشروح ، المصدر السابق ، ص 26

[7] الحميري ، الروض المعطار في خبر الأقطار ، المصدر نفسه، ص 22

فَصَبَرْنَا لَهُمْ كَمَا عَلِمَ اللهُ وَكُنَّا فِي المَوْتِ أَهْلَ نَاسِي[1]

تروى حادثة خروج الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاصدا الشام، غير أنه فور وصوله إلى منطقة سرع ، تناهى إليه نبأ تفشي الوباء في تلك الأنحاء[2]، بعد حلول شهر جمادى الأولى، اجتاح وباء مدمر أراضي حلب ، ليتوسع بسرعة هائلة إلى أرجاء بلاد الشام ، متضمنا مناطق مثل ماردين وسفوح جبالها [3].

تشير تحليلات تاريخية إلى أن الجائحة التي ضربت الشرق حديثا قد تكون متصلة بموجة وبائية ظهرت في الصين نهاية القرن التاسع عشر ، وترجح الأبحاث التاريخية أن مصدره الرئيسي يعود إلى آسيا الوسطى التي كانت بؤرة تاريخية لانتشار الأوبئة[4]، حيث بدأ ظهوره الأول في أراضي إمبراطورية المغول (القان الكبير) وتحديدًا في إقليم الأول التابع لها.[5]

[1] البرزنجي ، الأشاعة ، المصدر السابق، ص 57

[2] أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي البخاري، صحيح البخاري، جمعية البشرى ، المجلد الأول ، دم، د ت ، ص 3076

[3] المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج4، المصدر السابق، ص 82

[4] أحمد السعداوي، "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين (8-9هـ/14-15م)"، مجلة ايبلا(IBLA)، المجلد 58 ، العدد 175 ، 1995 ، ص 120

[5] المقريزي تقي الدين ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4 ، المصدر السابق ، ص 81

3)الطاعون الأسود وانتشاره من الشرق الأقصى إلى الأندلس و أوروبا:

عرفت الصين قديما في الأدبيات الإسلامية باسم "بلاد الخطا"[1]وبلاد الخطا بلسان العجم هي بلاد الصين[2]، أنَّ بداية تفشي الوباء كان من أراضي الحبشة[3]، ثم امتد تأثيره إلى المناطق المجاورة [4] حتى شمل ديار مصر وبلاد الشام و انتشر تدريجيا[5]، يسجل الرحالة ابن بطوطة في رحلاته أن مدينة غزة عانت من تفشي كارثي للوباء، إذ فاق عدد الضحايا فيها إلى زائد الألف خلال أربع وعشرين ساعة فقط[6] في المقابل يشير هذا المصدر بإرتفاع جنوني في الأسعار بمدينتي حلب ودمشق [7].

ويوثق ابن بطوطة من خلال زيارته إلى مدينة حمص عن كثرة الوفيات بها بسبب الوباء حيث يقول " فسافرت إلى حمص فوجدت الوباء قد وقع بها ومات يوم دخولي إليها نحو ثلاثمائة إنسان "[8].

---

[1] ا حسام محمود المحلاوي ، الطاعون الأسود ، المرجع السابق، ص 51

[2]محمد حسن، مقدمة المحقق ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، تونس، 2013، ص 44

[3] عبد الرحمن بلاغ ، "التراث الطبي بالأندلس ، رسالة تحقيق النبأ في أمر الوباء للشقوري (كان حيا 776هـ) انموذجا " مجلة المعيار " ، 2021 ، ص 612

[4]ابن خاتمة الأنصاري، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تح، محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة ، ط1 ، تونس، 2013، ص 144

[5]المصدر نفسه، ص144

[6] ابن بطوطة محمد بن عبد الله بن محمد ، رحلة ابن بطوطة ف غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، دح، دار القلم ، د ط ، بيروت ، لبنان، د ت ، ص 483

[7] المقريزي تقي الدين ، السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج7، المصدر السابق ، ص 202

[8]ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المصدر السابق ، ص 483.

اجتاح الطاعون مدن غزة والقدس وصفد و دمشق خلال شهر واحد من العام الماضي[1]. ويقول ابن بطوطة أيضا من خلال رحلته " ثم سافرت إلى دمشق ووصلتها يوم الخميس وكان أهلها قد صاموا ثلاثة أيام ، وخرجوا يوم الجمعة إلى مسجد الإقدام ... فخفف الله الوباء عنهم فانتهى عدد الموتى عندهم إلى ألفين وأربعمائة في اليوم"[2] ثم ذكر كذلك " ثم سافرت إلى عجلون ثم بيت المقدس ووجدت الوباء قد ارتفع عنه"[3]، " ثم سرنا إلى غزة فوجدنا معظمها خاليا من كثرة من مات بها في الوباء وأخبرنا قاضيها العدول بها كانوا ثمانين فبقي منهم الربع وأن عدد الموتى ينتهي إلى الألف و مائة في اليوم"[4]، " ثم إلى الإسكندرية فوجدت الوباء قد خف بها بعد أن بلغ عدد الموتى أيام الوباء انتهى فيها إلى واحد وعشرين ألف في اليوم الواحد ووجدت جميع من كان بها من المشايخ الذين أعرفهم قد ماتوا رحمهم الله تعالى"[5]

و بعد ذلك ، واصل الوباء زحفه نحو أراضي ألبيرة والقسطنطينية ليتسلل بعدها إلى جزر الرومانية[6] الرومانية[6] زحفت موجات الوباء على طول سواحل البحر الأبيض المتوسط ، لتصل إلى بلاد جنوة وأراضي أفرنسة كما اجتاحت معظم أراضي مملكة قشتالة الإسبانية وصولا إلى مدينة اشبيلية [7]أقصى

---

[1] المقريزي السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج7 المصدر السابق ، ص 204

[2] ابن بطوطة ، رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار، المصدر السابق ، ص 483

[3] ابن بطوطة ، المصدر نفسه ، ص 483

[4] المصدر نفسه، ص 666

[5] ابن بطوطة ، المصدر نفسه ، ص 666

[6] ابن الخطيب ، السلماني الغرناطي ، مقنعة السائل عن المرض الهائل ، المصدر السابق، ص 45

[7] بن خاتمة الأنصاري، تحصيل غرض القاصد، المصدر السابق، ص 144

المغرب واتصل مع ذلك بجزر البحر الرومي[1] صقلية[2]وسرادنية[3]وميورقة[4] وبلنسية[5] ولم تتوقف حدود التفشي عند ذلك بل اجتازت العدوى السواحل الإفريقية المقابلة لأوروبا إلى عمق أراضي الإفريقية ثم انتقلت عبر المسالك التجارية إلى المناطق الداخلية للمغرب الإسلامي[6].

وفي عام750هـ/1349-1350، اجتاحت الموجة الأولى من الطاعون الأسود مناطق واسعة من العالم الإسلامي مخلفة كارثة ديمغرافية وفكرية ، ويشير هذا الباحث بصعوبة الإشارة إلى المصادر المعاصرة لتلك الحقبة، في المشرق أو أوروبا أو حتى ربوع المغرب الإسلامي ومنها الأندلس[7]، سجل الوباء حصيلة وفيات مروعة إذ اجتاح المنطقة تفشي الأمراض الفتاكة أبرزها الطاعون، مخلفا دمارا بشريا طال بشكل

[1]محمد حسن، مقدمة المحقق، المصدر السابق، ص46

[2]صقلية: هي قطعة من البحر الشامي على بعد ثمانين ميلا من أقرب نقطة برية في مالطا فتحها المسلمون في العصور الإسلامية الأولى بقيادة الفقيه أسد بن الفرات الذي تولى دور الأمير والقاضي عام 212هـ/827م.ينظر: الحميري الروض المعطار، المصدر السابق، ص366

[3]سردانية: تقع هذه الجزيرة على حافة البحر الشامي شرق البحر الأبيض المتوسط وتتميز بمساحتها الشاسعة التي تهيمن عليها التضاريس الجبلية بينما تعاني من ندرة واضحة في الموارد المائية. ينظر: الحميري، الروض المعطار، المصدر السابق، ص314

[4]ميورقة : تقع هذه الجزيرة في مضيق جبل طارق على بعد ثلاثة أميال بحرية من الساحل الجنوبي ومن جهة الشمال تبعد مسافة قصيرة عن برشلونة التابعة لمملكة أراغون فتحها المسلمون عام290هـ/902م وظلت تحت سيطرتهم حتى دمروها. ينظر: الحميري، المصدر نفسه، ص567

[5]بلنسية: تقع هذه المدينة من جهة الشرقية من الأندلس حيث تقدر المسافة بينها وبين قرطبة بنحو ستة عشر يوما عبر الطريق المار ببجانة في حين تقل المدة إلى ثلاثة عشر يوما عند استخدام الطريق الرئيسي .ينظر: الحميري، صفة الجزيرة، المصدر السابق، ص47

[6]محمد حسن مقدمة المحقق، مقنعة السائل، المصدر السابق، ص46

[7]رشيد يماني، "تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة"، مجلة الجزائرية والدراسات التاريخية المتوسطية، 2015، العد الثاني، شتاء، 1436هـ، ص50

خاص المناطق الشمالية[1]، إلى جانب ذلك، تفشى الانحلال الأخلاقي في أقاليم الهند والمشرق والجنوب، بينما تصاعدت وتيرة الظلم الاجتماعي في مناطق المشرق، مما عمق الأزمات الإنسانية هناك[2]، اشتدت وطأة الحكام على الرعية حيث بلغت سياسات القمع الاستبداد ذروتها[3].

ارتبط تفشي الأوبئة وارتفاع معدلات الوفيات بعوامل معقدة، أبرزها تكرر المجاعات والصراعات الداخلية[4].

وفي عام745هـ/1344م وصل الطاعون إلى أوروبا[5]حيث أطلق عليه المؤرخون الأوروبيون مصطلح« peste » المشتق من الكلمة اللاتينية[6]« pestis » بينما عرف في الأدبيات الإنجليزية باسم الموت الأسود« black death » نظرا لفداحة خسائره البشرية التي لم ينج منها إلا القليل[7]

يتضح لنا أن المفاهيم الأساسية للطاعون كما تشكلت في الوعي الديني والطبي، مع تتبع تاريخي لأهم الطواعين التي عرفتها الأندلس حتى القرن الثامن الهجري،وقد بينت الدراسة تكرار موجات الوباء

[1]زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء فرس الدين خليل بن شاهين الظاهري، نيل الأمل في ذيل الدول، تح، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ج1، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص56

[2]المصدر نفسه، ص57

[3]نفسه، ص57

[4]ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، ج1، المصدر السابق، ص238

[5]بلجة عبد القادر،"مملكة غرناطة النصرانية في مواجهة الطاعون في القرن(8هـ/14م)"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد03، العدد02، سبتمبر، 2020، ص152

[6]ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر قيام وسقوط إمبراطوريات، دن، د ط، الإسكندرية، مصر، ص260

[7]تريكي فتيحة، المرجع السابق، ص313

واختلاف شدتها وتأثيرها، مما يؤكد أن الطاعون لم يكن حدثا معزولاً، بل ظاهرة دورية ساهمت في تشكيل ملامح تاريخية واجتماعية بارزة، ممهدة لفهم طاعون سنة749هـ/1348م الذي يعد أخطرها.

الفصل الثاني:

دراسة تاريخية في طاعون الأندلس لسنة 749 هـ / 1348م

- المبحث الأول: قراءة تاريخية في الطاعون وأسبابه
- المبحث الثاني: مواجهة الطاعون في الأندلس
- المبحث الثالث: رؤية العلماء المسلمين لطاعون 749هـ/1348م في بلاد الأندلس بين الدين والعلم

المبحث الأول:قراءة تاريخية لطاعون في الأندلس: النشأة والأسباب:

1) النشأة:

في منتصف القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي وتحديدا عام 749هـ/1348م اجتاح الطاعون الأسود مناطق الأندلس ، مخلفا دمارا هائلا وحصيلة وفيات مروعة"مات في تلك السنة كل شئ حتى سنة نفسها"[1]، ويصنف هذا الوباء كواحد من أشد الأوبئة فتكا التي عاصرتها تلك المنطقة عبر تاريخها[2]وأطلق المؤرخون الأوروبيون على هذه الجائحة اسم الطاعون الأسود[3]، دام تفشي الوباء طيلة فصلي الربيع والصيف ثم امتد تأثيره خلال الخريف[4]ليطال حتى جزءا من فصل الشتاء في سابقة نادرة لاستمرار الأوبئة عبر الفصول الأربعة[5]، ويشير المقريزي في رواياته "فكان فيها الوباء الذي لم يعهد في الإسلام مثله"[6]، كانت بني ذنة وهي منطقة تقع شرق مدينة المرية في الأندلس وهي بؤرة التفشي الأولى لهذا الوباء[7]ثم توسع نطاقه تدريجيا ليشمل المناطق المحيطة، منتقلا بين التجمعات السكانية في الأرياف والحواضر حتى امتدت سيطرة العدوى إلى أطراف البلاد النائية ومع تفشيه بلغ ذروته حيث كان عدد

[1] تريكي فتيحة، النباتات النفعية ومجالات استخداماتها، المرجع السابق، ص312

[2] المرجع نفسه، ص67

[3] تريكي فتيحة، النبات النفعية، المرجع السابق، ص313

[4] محمد حسن، مقدمة المحقق، المصدر السابق، ص43

[5] المصدر نفسه، ص43

[6] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، المصدر السابق، ص80

[7] ابن خاتمة، المصدر السابق، ص142

الضحايا يصل نحو سبعين شخصا يوميا[1]، كما يذكر المقريزي" لم يكن هذا الوباء كما عهد في إقليم دون إقليم بل عم أقاليم الأرض شرقا وغربا وشمالا وجنوبا جميع أجناس آدم"[2]، ومع تفاقم الأزمة عام 749هـ /1348م ارتفعت حصيلة الوفيات ارتفاعا كارثيا[3]، ولم يفرق الموت الأسود بين الطبقات أو المناطق إذ ضرب جميع الفئات الاجتماعية والأقاليم بالقوة ذاتها[4]، إلا أنه في 24 أفريل1348م تكن بعض المناطق قد شهدت وصول العدوى وفقا للسجلات التاريخية[5]، إذ يقول ابن خاتمة في هذا الصدد"ولقد شهد أهل السوق بالمرية الذين يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم مات أكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم إلى الآن"[6]إذ استشهد هنا ابن خاتمة بحادثة واقعية شهدها بنفسه في سوق المرية، حيث لاحظ أن معظم من اشتروا أدوات الموتى مثل الملابس والأثاث والفرش ممن قضى بالطاعون، واستخدموها دون تأخير، تعرضوا للوفاة نتيجة انتقال المرض إليهم[7].

[1] محمد حسن، مقدمة المحقق، المصدر نفسه ،ص44

[2] المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، المصدر السابق، ص81

[3] Yves Renouard, « Consequences et interetdemographiquedela peste noire de 1348,Institut national d etudes demographiques,France,N3,1948,p459

[4] Ibid,p461

[5] Charles verlinden, la grand peste de 1348 en Espagne ,Contribution à l' ètude de ses consèquencesèconomiques et sociales,Revue belge de philologie et d'histoire, Bruxelles,Belgique,T :17,n1-2,1938,p116

[6] ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد ، المصدر السابق، ص159

[7] تريكي فتيحة، النباتات النفعية ، المرجع السابق، ص226

سجلت بعض المدن العديد من الضحايا في تونس1202حالة وفاة[1]، تلمسان7000ضحية وبلنسية1500قتيل[2]، ميورقة1252متوفي و المرية70حالة[3].

وفي الختام يمكن القول أنه انبثقت الموجات الأولى للطاعون في الشرق الأقصى ثم انتشرت في بلاد المشرق الإسلامي، حاملة في طياتها دماراً واسعاً وتبعات اجتماعية بالغة القسوة، ثم ما لبثت أن يمتد تدريجياً كموجة قاتلة لتضرب ربوع المغرب والأندلس، فهذا المسار الوبائي يشهد بأن الأندلس لم تكن بمنأى عن سطوة الطاعون لسنة 749هـ/1348م، مما يجعل هذا الوباء ظاهرة متجذرة في تاريخ المنطقة وعلامة فارقة في مسارها الحضاري.

2) الأسباب:

أ_الأسباب الفلكية:

شهدت بلاد الأندلس، كما هو الحال في العديد من مناطق العالم القديم، انتشارًا واسعًا للطاعون. وفي ظل هذه الكارثة، سعى الأندلسيون إلى تفسير أسباب هذا الوباء وفهم جذوره، فظهرت كتابات مختلفة تحاول تقديم تفسيرات مقنعة ومنطقية حسب معايير ذلك العصر.

ويُرجع ابن الخطيب السلماني الغرناطي، في كتابه **"مقنعة السائل عن المرض الهائل"** ، السبب الرئيسي لظهور الطاعون إلى الظواهر الفلكية، مؤكدًا أن الأطباء في عصره كثيرًا ما كانوا يعتمدون على هذه النظريات الفلكية دون مناقشتها. لكنه في الوقت نفسه يشير إلى عامل ثانوي أكثر واقعية، يتمثل

[1] أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص121
[2] المرجع نفسه، ص121
[3] نفسه، ص121

في **فساد الهواء المحيط**، الذي يؤدي إما إلى نشوء المرض إبتداء أو تسهيل انتقاله وانتشاره[1]، ومن أبرز التفسيرات.

عند العلماء آنذاك، الاعتقاد بأن اقتران الكواكب، مثل المريخ وزحل، في أبراج نارية قد يكون من أسباب تفشي الأوبئة[2]. وقد تبنّى هذا الرأي عدد من علماء التنجيم، الذين رأوا أن لهذه الظواهر الفلكية تأثيرًا مباشرًا على الأرض وأحوال البشر.

ويبدو أن هذه التفسيرات – سواء الفلكية أو البيئية – كانت محاولة لفهم الظاهرة الطاعونية في ظل ضعف المعرفة العلمية الدقيقة، لكنها تعبّر عن اجتهاد فكري يعكس قلق المجتمع من الكارثة، وسعيه لإيجاد تفسير يتماشى مع أدوات المعرفة المتوفرة في ذلك العصر.

ب ـ فساد الهواء:

يُعدّ تلوث الهواء من أبرز التحديات البيئية التي عرفتها المجتمعات القديمة، لما له من تأثيرات خطيرة على صحة الإنسان[3]، . وقد انعكس هذا الإدراك في تعدد التفسيرات التي ظهرت لتفسير أسباب تفشي الطاعون، حيث ركز العديد من الأطباء المسلمين على فساد الهواء واختلال الرطوبة[4] كعامل رئيسي في انتشار الأوبئة.

ومن أبرز هذه التفسيرات ما جاء في كلام **ابن خاتمة الأنصاري**، الذي وصف الظاهرة بدقة في كتابه *"تحصيل غرض القاصد"* ، فقال:"أنَّ تغير الهواء في جهة المكان والموضع وما يتصل به، وذلك بأن

[1] ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص65.

[2] مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص121.

[3] فتيحة فليح عبد الكريم نجار، الأمراض والخدمات الصحية في مناطق مختارة من محافظة رام الله والبيرة (دراسة في الجغرافي الطبية)، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجيستر في الجغرافيا، بإشراف، أديب خطيب، عصام أحمد خطيب، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين 2008م، ص88.

[4] بلجة عبد القادر، مملكة غرناطة النصرية ، المرجع السابق ص156.

ترتفع أبخرة فاسدة متعفّنة من السّباخ والبطائح المتغيّرة المياه والخنادق والآجام السرية الراكدة الهواء، وجيف القتلى في الملاحم والدّواب"[1]

يُظهر هذا النص أن ابن خاتمة ربط بين العوامل البيئية المحيطة—مثل المستنقعات، المياه الراكدة، وجثث القتلى—وبين **فساد الهواء وتفشي المرض**، مما يعكس وعيًا مبكرًا بالعلاقة بين التلوث وانتشار الأوبئة.

وقد تحولت الظروف الجوية من الاعتدال إلى ارتفاع ملحوظ في درجات الحرارة مصحوباً في نسبة الرطوبة و هذا راجع إلى تغير حالة الهواء[2].وهو ما اعتُبر أحد الأسباب المباشرة لتفاقم الكارثة الصحية في الأندلس.

_أسباب فساد الهواء:

قسّم ابن خاتمة تغير الهواء إلى ثلاثة أنواع رئيسية، حسب جهة الاستقرار والتأثير:

النوع الأول :تغير الهواء نتيجة اتصال الأشعة الفلكية والأنوار السماوية، وهو مرتبط بعوامل فلكية كحركة الكواكب وتأثيراتها[3].

النوع الثاني :تغير الهواء بسبب الزمن والمناخ، ويتعلق ذلك بزيادة أو نقص الأمطار، وهبوب الرياح أو ركودها، وتغير درجات الحرارة والرطوبة[4]

النوع الثالث :تغير الهواء من جهة المكان والموضع، كوجود المستنقعات، المياه الراكدة، أو جيف الحيوانات، مما يسبب صعود أبخرة فاسدة تؤثر على جودة الهواء[5].

---

[1]ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق، ص140.

[2]قطب خالد، التأسيس المعرفي لنظرية العدوى عند ابن خاتمة، المرجع السابق، ص70.

[3] ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، المصدر السابق، ص138

[4]المصدر نفسه، ص139

[5]نفسه، ص140.

وقد رأى ابن خاتمة أن هذا النوع الأخير هو الأخطر لأنّه يؤثر على جودة الهواء، فالتقلبات المناخية سواء كانت طبيعية أو غيرها فهي تحدث أمراضاً مرتبطة بخصائص كل فصل بشكل حتمي[1]، خاصة في البيئات التي تفتقر إلى التهوية والنظافة. فالهواء الفاسد كان يُعتبر من أبرز الوسائط التي تُسرّع انتقال العدوى.

وفي السياق نفسه، يشير **ابن خلدون** إلى أنَّ **كثرة العمران** قد تسبّب فساد الهواء، نتيجة لما يرافقها من **عفن ورطوبة فاسدة** تؤدي إلى تفشي الأمراض، حيث يقول:"وسببه في الغالب فساد الهواء لكثرة العمران لكثرة ما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة"[2]. إذن الهواء الفاسد هو سبب الوباء[3]

ولهذا يرى العلماء الوقاية من تلوث هذا الهواء بتحسين المساكن وتنقية الجسم[4]، ونفس الأمر يذهب إليه ابن زهر بقوله :"أنّ ضر الأهوية علينا ما كان حاراً رطباً بسبب أنَّ العفونة تدب في مثل هذه الأمزجة وخاصة متى لم تكن رياح تهب مجففة"[5].

وهذا يدل على أن العلماء وأطباء الإسلام قد ربطوا بين التحولات البيئية والعمرانية، وبين ظهور الأوبئة، مؤكدين أن الصحة العامة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بجودة الهواء ونظافة البيئة.

ج ـ فساد الماء:

إن تلوث الماء ينتج أمراضاً وبائية قاتلة لاسيما من المصادر الراكدة[1]، ويُعتبر الماء ركنًا أساسيًا في الحياة ومصدرًا لتشكّل الكائنات الحية[2]، حيث يعتبر الماء ركن الوجود ، فالمياه الراكدة تتعفّن وتتلوث

---

[1]علاء الدين علي بن أبي الحزم القريشي المطبب ابن النفيس، الصيدلة المجربة المعروف بالموجز في الطب ما جربه ابن النفيس من القانون الرئيس ابن سينا، راجعه وشرح مفرداته، محسن عقيل، دار المحجة البيضاء، ط1، بيروت، لبنان، 2002، ص52.

[2]ابن خلدون عبد الرحمن، العبر، المصدر السابق، ص238.

[3]أشرف خليفة السيوطي، الأحكام الفقهية المتعلقة بفيروس كورونا، المرجع السابق، ص100

[4]الشيخ داود بن عمر الأنطاكي، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، تح، الشيخ أحمد فريد المزيدي، دن، بيروت، لبنان، دت، ص350.

[5]أبو مروان بن عبد الملك ابن زهر الإيادي الأندلسي، التيسير في المداواة والتدبير، تح، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص267.

بسبب تراكم الطمي والنفايات[3]، مما يؤدي إلى تغير في خصائصها، فتفقد صلاحيتها للاستعمالات الأساسية، مثل الشرب والزراعة، وغيرها[4]. فالمياه الفاسدة تهدد صحة الضعفاء أولاً[5]، لذا يعد الماء من أهم الثروات الواجب حمايتها ورعايتها[6]، وقد أشار القرآن الكريم إلى عِظَم شأن الماء، في قوله تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الماءِ كُلَّ شَيءٍ حَيٍ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[7]، وقوله كذلك: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾[8].فهذه الآيات تؤكد قيمة الماء، وضرورة الحفاظ عليه من التلوث والفساد.

د ـفساد الأغذية:

يعدُّ الغذاء حاجة لا محيد عنها لاستمرار النمو والحياة إذ يحرص الإنسان على توفيره لضمان سلامة صحته[9]، إذ وثق قديما إلى ارتباط بعض العادات الغذائية كالإفراط في أكل اللحوم الدسمة أو الأطعمة الفاسدة بظهور أمراض وبائية، كما رصدت الدراسات عادات غذائية غريبة في عدة مناطق مثل سجلماسة كتناول لحوم حيوانات "وكذلك سجلماسة تسمن الكلاب وتأكلها وتبيعها في

---

[1]مزدور سمية، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص119

[2]تواتية بودالية، البيئة في بلاد الأندلس عصري الخلافة وملوك الطوائف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، بإشراف، فاطمة بلهواري، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة وهران، 1434_1435هـ/2013_2014م، ص30.

[3]جعفر يا يوش، غازي الشمري، الطبيب ابن الزهر الأندلسي رائد التجريب، دح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، ص286.

[4]فتيحة فليح، الأمراض والخدمات الصحية، ص93.

[5]مليكة عدالة، فاطمة بلهواري، المرض وأعراضه عند عامة الأندلس، العصر الموحدي، "مجلة العصور"، العدد28-29، جانفي جوان 2016، ص163.

[6]يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، ط1، القاهرة، 1421هـ-2001م، ص100.

[7]سورة الأنبياء، الآية 30.

[8]سورة إبراهيم، الآية 32.

[9]فتيحة فليح عبد الكريم نجار، الأمراض والخدمات الصحية، ص96.

أسواقهم"[1]كما اعتمدوا في نظامهم الغذائي على لحم الحرذون وارتبط استهلاكه خاصة لدى النساء بمعتقدات تقليدية حول دوره في زيادة الوزن وهذا له أثر كبير على الصحة[2]ففي الغرب الإسلامي، عرفت عرفت الموارد الغذائية تباينًا بين الوفرة والندرة، حسب تقلبات المناخ، مما أثّر على إمدادات الطعام، خاصة لدى المزراعين[3]. وكان النظام الغذائي يتنوع حسب المناسبات بين أغذية نباتية وحيوانية، غير أن الاعتماد المفرط على الغذاء النباتي فقط يؤدي في بعض الفترات إلى إهلاك البنية الصحية لدى الإنسان ومن بين هذه النباتات ، الشيلم فهو يستخدم كعلف للحيوانات ، بينما يتميز ينبوت بانبعاث رائحة كريهة، وتتطلب ثماره معالجة خاصة لتجنب سميتها"ولا يؤكل إلا في المحْل"، ويشبه ثمر الجميز التين، ومن ميزاته أنه يبثر الفم ، أما اللوف فاستخدم كغذاء طارئ في فترات المجاعات كالأندلس ، لكنه قد يسبب أضراراً صحية لسميته[4].

فالغذاء المتوازن ينظم حرارة الجسد، ويزوده بالطاقة ويحافظ على وظائفه مما يعزز الصحة والحيوية[5].وقد أشار الطبيب ابن أبي أصيبعة إلى أهمية الاعتدال في الطعام بقوله :"ولا تأكل ما تضعف أسنانك من مضغه"[6].

إلى جانب العوامل المرتبطة بتلوث الغذاء، برزت أسباب أخرى ساهمت في تفشي الأوبئة، من بينها ضعف الهضم، أو التعرض لبرودة قاسية أو حرارة شديدة، وكذلك تأثير العوامل البيئية ضارة على حدّ قول ابن سينا[1]

---

[1]أحمد صالح محمد عبد الغني، "دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين"، مجلة بحوث كلية الآداب "، ص05

[2]المرجع نفسه، ص05

[3]محمد أمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات في المغرب في القرنيين الثامن عشر والتاسع عشر، دار النجاح، الرباط، 1992، ص34.

[4] تريكي فتيحة، النبات النفعية ومجالات استخداماتها ببلاد الأندلس، المرجع السابق، ص247، 251

[5]نجيب الكيلاني، الغذاء والصحة، دم، دت، ص5.

[6]موفق الدين أبي عباس أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء ضبطه وصححه ووضع فهارسه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص161.

وقد أشار بعض الأطباء المسلمين إلى أهمية ضبط النظام الغذائي كوسيلة وقائية، مؤكدين على دور الزيوت المفيدة والروائح المنعشة في تعزيز الصحة، بينما تتحول الظروف إلى كارثية إذا طالت فترة **القحط** والمجاعة[2]، وكذلك فساد الأغذية يؤدي إلى تغير حالة الهواء مثل " مطامير الطعام القديمة الاختزان"[3]، كما أنَّ المجاعة تدفع الفئات الفقيرة إلى استهلاك الحبوب المخزّنة منذ زمن طويل، والتي أصابها التعفّن، مما يُسهم في انتشار الأوبئة داخل الأوساط الأكثر هشاشة. والأكثر فقراً[4].

وشهدت فترة الصراع السياسي عبر التاريخ كوارث إنسانية كبرى تمثلت في انتشار الأوبئة والمجاعات الجماعية، حيث أجبرت الظروف القاسية المجتمعات على خوض تجارب مؤلمة تناقض تقاليدها وقيمها، مثل حصار تلمسان في المغرب الأوسط خلال القرن السابع والثامن هجريين نموذجاً صارخاً لهذه المآسي، إذ أدى الحصار الطويل إلى مجاعة طاحنة لم يعرف لها نظير في السجلات التاريخية[5]، كما قام بنو مرين بشن حملات عسكرية متكررة ضد الدولة الزيانية خلال القرنين السابع والثمن الهجريين، تمثلت أبرزها في حملتين الأولى كانت بقياة يوسف بن يعقوب عام 698هـ والذي دام أربعين يوماً[6]"ثم سار في نواحيها ينسف الآثار ويخرب القرى ويحطم الزروع"[7]، والثاني تمثل في الحصار الطويل698هـ_706هـ ودام ثماني

---

[1] ابن سينا، القانون في الطب ،المصدر السابق ، ص453.

[2] ابن زهر الأندلسي، النشاط والقوة في الأغذية، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، بيروت، لبنان، 1419هـ-1998م، ص127-128.

[3] ابن الخطيب، مقنعة السائل، المصدر السابق، ص64.

[4] نفسه، ص64.

[5] عباس رشيد، "النظام الغذائي زمن المجاعات والأوبئة"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد4، العدد8، ديسمبر2018، ص87-88.

[6] عبيد بوداوود، "تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية"، مجلة عصور، عدد6_7، جوان، ديسمبر2005م، ذو القعدة1426هـ، ص194

[7] أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، الدولة المرينية، تح، جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء ، ج3، المغرب، 1954، ص69

سنوات " ونال أهل تلمسان الكرب العظيم واضطروا إلى أكل الجيف والقطط والفئران، حتى لزعموا أنهم أكلوا فيها أشلاء الموتى من الأناسي..."[1]

وعليه يؤدي فساد الأغذية أثناء الحصار كحالة تلمسان إلى تفاقم الأمراض المنقولة بالغذاء ، لا سيما مع اضطرار السكان إلى ممارسات خطرة من أجل البقاء كاستهلاك نباتات سامة أو الجيف، نتيجة شُح الموارد وانهيار شروط السلامة الغذائية

ج_إضطراب المناخ وتغير الفصول:

لم يقتصر تأثير التغيرات المناخية في العصور الوسطى على الجفاف والفيضانات بل شمل تفشي أوبئة قاتلة واختلالاً في المواسم الطبيعية مما شكّل تهديدًا لحياة البشر[2]، كما ارتبطت التقلبات المناخية الحادة كالحرارة والرطوبة والرياح الجنوبية بظهور مؤشرات طبيعة كتلون السماء بألوان رمادية، الأمطار الغزيرة، الرياح العاتية والضباب كما اعتقد قديماً أنها تنذر بانتشار الأوبئة كالطاعون[3]، اذ يؤثر التغير المناخي على صحة الإنسان وجهازه المناعي مما يزيد قابلية الإصابة بأمراض خطيرة مثل الطاعون[4].

3) تفسير ظهور الطاعون من منظور علمي:

أدور جرثومة يرسينيابستيس في إنتشار الطاعون :

[1] عبيد بوداوود، تلمسان في مواجهة الحملات، المرجع السابق، ص194

[2] قهواجي عبير، باكلي إيمان، الوباء بالغرب الإسلامي من خلال كتاب مقنعة السائل عن المرض الهائل للسان الدين بن الخطيب (ت776هـ/1374م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، رافع رضا، كلية العلو الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة، 2020_2021، ص38.

[3] حسام محمود المحلاوي، الطاعون الأسود، المرجع السابق، ص55.

[4] قطب خالد، التأسيس المعرفي لنظرية العدوى، المرجع السابق، ص55.

لقد تدرجنا في عرض الأسباب التي ذكرتها المصادر التاريخية لظهور الطاعون، والتي تراوحت بين تأثير الكواكب والنجوم، وبين فساد الهواء والماء والعذاء، واضطراب المناخ، ورغم أن هذه التفسيرات عكست فهم ذلك العصر للظواهر الطبيعية، إلا أنها لم تقدّم إجابات شافية أو مقنعة.

باستثناء بعض الحالات القليلة النادرة، مثل ما ذهب إليه ابن الخطيب الذي أشار إلى فكرة العدوى وانتقال المرض بين الناس، وهي فكرة أنصفها العلم الحديث بعد قرون طويلة.

ومع تطور العلوم البيولوجية والطبية، تمكّن العلماء أخيرًا من كشف اللغز الذي حيّر العالم طيلة قرون، ويعود سبب الطاعون إلى بكتيريا "**يرسينيابستيس**"[1] التي تنتقل للإنسان عبر براغيث الفئران كالجرذان خاصة في الطاعون الدبلي الذي يعد الأكثر شيوعاً[2]، وانتشرت البكتيريا عبر براغيث الجردان والفئران السوداء، التي تنتقل على متن السفن للتجارية بسبب غياب النظافة، وعدم فهم العدوى مما جعل الرحلات البحرية وسيلة رئيسية لنقل الوباء[3]، اذْ تظهر أراض المرض سريعاً خلال ساعات أو أيام دون فترة حضانة طويلة[4]، حيث تعيش بكتيريا يرسينا في أجسام القوارض كالجرذان التي تمتلك مناعة ضدها، بينما تنتقل عبر البراغيث وتتغذى على دمائها وتتكاثر البكتيريا في معدة البراغيث مما يدفعها للدغ الأنسان ونقل العدوى التي تنتشر لاحقاً عبر الرذاذ التنفسي[5].

وبالتالي تمثل تلك العوامل التي ذكرناها مسبقا بأكملها أسباباً غير مباشرة مهدت لتفشي الطاعون حيث أسهمت الظروف القاسية من مجاعات وقحط وتغير الهواء وغيرها إلى انهيار اجتماعي في إضعاف بنية المجتمعات فتحولت إلى تربة خصبة لانتشار الوباء بشكل كارثي.

---

[1] يرسينيا بيستيس:تعود نسبة إلى مكتشفها الفرنسي ألكسندر يرسين سنة 1894.وارتبطت هذه البكتيريا ببراغيث الجرذان والفئران السوداء، التي كانت من الركاب الدائمين للسفن التجارية، فهي تعود إلى نوع من البكتيريا التي تعيش داخل أجسام القوارض كالجرذان مثلا، ولها مناعة خاصة ضد هذه البكتيريا. ينظر: تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص ص314-315.

[2] روبرت، س، جو تفريد، الحوت الأسود، المرجع السابق، ص8.

[3] تريكي فتيحة، النباتات النفعية ومجالات استخداماتها، المرجع السابق، ص314-315.

[4] روبرت، س، جو تفريد، الحوت الأسود، المرجع السابق، ص8.

[5] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص315.

المبحث ثاني: مواجهة الطاعون في الأندلس

أولا: أعراض الإصابة بالطاعون:

نتيجة لغياب التشخيص الدقيق في تلك الفترة وعجز الطب عن فهم آليات تلك الأوبئة إذ ربطت الكتابات الأوروبية والإسلامية قديماً أنها تعود "بالدرجة الأولى إلى العقاب إلاهي للبشر بسبب

كثرة ذنوبهم..."[1]، كما وصف لنا ابن الخطيب من خلال رسالة "مقنعة السائل عن المرض الهائل" أعراضاً وبائية كالحمى الوبائية والخراجات خلف الأذنين والإبطين[2]، بينما أثار لنا ابن حجر العسقلاني كذلك إلى ظهور غدد تشبه البعير في ثنايا الجسد معتبراً أن القروح الجلدية أساساً للوباء[3] .

تتميّز الإصابة بالطاعون بتشكيلة معقّدة من الأعراض السريرية، كما توضحه الدراسات الحديثة.اذْأنَّ الطاعون يترافق مع أعراض سريرية تتمثل في الحمى الشديدة، والتقيؤ المتكرر وتسارع نبضات القلب، والسعال الجاف مع تغير لون اللسان إلى الداكن، والتهابات حادة يصاحبها عطش غير معتاد، وثقل في الصدر يصعب التنفس إلى جانب صعوبة البلع وبرودة الأطراف، كما تظهر في بعض الحالات علامات أخرى العصبية، والصداع المبرح، وفقدان الوعي، بالإضافة إلى التهاب جهاز حاد في الجهاز الهضمي ومرارة في الفم، وضعف عام في البنية الجسد وفقدان الشهية بشكل تام[4]. تشكل هذه العلامات المتداخلة مفتاحاً أساسياً للتشخيص الدقيق لهذا الوباء الفتاك الذي لا يمكن تحديده دون فهم عميق لطبيعة أعراضه الاستثنائية.

ومع كل ذلك، يبقى الطاعون مرضًا قديمًا ظلت أسبابه غامضة ومثيرة للجدل عبر التاريخ. ويشير بعض الباحثين إلى أن هذا المرض يتجسّد في نوعين خطيرين هما :**الطاعون الغددي** و**الطاعون الرئوي**، وكلاهما يتميّز بسرعة انتشاره وشدة تأثيره، مما جعله من أكثر الأوبئة المدمرة وفتكا في تاريخ البشرية[5].

أشارت الباحثة تريكي إلى الطبيب ابن زهر، على الرغم من براعته في تشخيص الأمراض، إلاّ أنه اعترف بعجز الطب عن فهم أسباب بعض الأوبئة، مثل الطاعون، معتبرًا إياها نتيجة لغضب إلهي.

[1] تريكي فتيحة، نفس المرجع، ص315.

[2] ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص66.

[3] ابن الحجر العسقلاني، بذل الطاعون في فضل الطاعون، المصدر السابق، ص96-97.

[4] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص313.

[5] أحمد السعداوي، المرجع السابق، ص131.

وعلى المنوال نفسه، أكّد أبو العباس أحمد الصقلي أن هناك أمراضًا لا يمكن علاجها، لاعتقاده أنها تتجاوز حدود المعرفة الطبية آنذاك مثلا للطاعون [1].

إذن فهذه التفسيرات حول تشخيص الطاعون فهي تعكس تبايناً بين المنهج العلمي الناشئ والمعتقدات الدينية السائدة في ذلك العصر.

ثانياً: الوقاية من الطاعون

حرص الدين الإسلامي على تعزيز سبل الوقاية والحذر، حيث أرشدت أحاديث الرسول إلى أساليب فعالة للتعامل مع الأوبئة والأمراض المعدية، ومن بين هذه التوجيهات النبوية الحث على عزل المصابين عن الأصحاء ومنع اختلاطهم، وذلك بهدف حصر المرض ووقف انتشاره، مما يعكس وعيا مبكرا بأهمية الإجراءات الوقائية في الحفاظ على الصحة العامة[2] حيث امتدت الإجراءات الوقائية لتشمل حتى الحيوانات غير المعتادة حرصاً على تجنب ما قد تحمله من أمراض تؤثر على صحة المسلمين وتخل بتوازنهم الصحي[3].

ووفقاً لدراسة شخوم سعدي يقدم ابن حجلة التلمساني في كتابه "الطب الماعون في دفع الطاعون" رؤية وقائية متقدمة، حيث يوصي بتجنب رائحة المريض، مما يشير إلى فهم مبكر لانتقال العدوى وان كان يدعو إلى تطهير الهواء بحرق مواد مثل اللبان والطرفاء وهي ممارسات تعكس تأثيراً بأساليب الفراعنة، بالإضافة إلى ذلك يشدد على عزل المرض وحفظ الجثث باستخدام الآس والالتزام بالعزل المنزلي مع استخدام مواد طاردة للهواء الفاسد مثل: الغبر والقطران.[4]، وحسب ما أورده ابن خاتمة في قوله حول انتشار العدوى " لقد شهدت أهل سوق الخلق بالمريّة الذين كانوا يبتاعون بها ملابس الموتى وفرشهم

[1] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص317.

[2] صديقي محمد، الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص131.

[3] سعداوي نصيرة، سليماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس دراسة في الإجراءات والتدابير المتخذة لمجابهة الأمراض والأوبئة خلال العصر الوسيط، مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر أكاديمي، بإشراف، لكحل مراد، قسم التاريخ، تخصص الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، 2020-2021، ص34.

[4] شخوم سعدي، منظومة العلاج، المرجع السابق، ص39-40.

مات أكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم إلى الآن إلاّ الأقلّ وغيرهم من أرباب الأسواق، حالهم كحال سائر الناس"[1] والتي قمنا بالإشارة إليها سابقاً.

وعليه فان هذه الإجراءات هي تظهر وعياً علمياً مبكراً بأهمية الوقاية وتعكس قدرة العلماء المسلمين على تطوير ممارسات الصحية مستخدمين الحضارات السابقة، فهذه تعتبر أساساً مبكراً لعلم الصحة العامة.

اذ يذكر لنا ابن خاتمة ستة أمور أساسية للوقاية من الأوبئة[2]:

- الجنس الأول: "إصلاح الهواء" وذلك باختيار أماكن جيدة للتهوية مثل البيوت الشمالية.
- الجنس الثاني: "الحركة والسكون" بالتوازن بين النشاط والحركة.
- الجنس الثالث: "الأطعمة والأشربة" وذلك بالتركيز على الأطعمة الخفيفة والمشروبات الصحية.
- الجنس الرابع: "النوم واليقظة" بأماكن باردة وجيدة التهوية.
- الجنس الخامس: "الإستفراغ والاحتقان" وذلك بالحفاظ على التوازن الداخلي.
- الجنس السادس: "الأمراض النفسانية" وذلك بتجنب التوتر والضغوط.

ومن خلال ما سبق اتضح لنا أن الأسس الوقائية الصحية تعتمد على فهم متكامل يجمع بين العناية بالبيئة، والالتزام بالغذاء المتوازن ،كما شمل النهج المتقدم توازناً بين الحركة والراحة، واهتماماً بالمشاعر النفسية كعنصر أساسي في الحفاظ على الصحة العامة.

كذلك من أبرز أساليب الوقاية التي أقرها الإسلام تجنب الإفراط في الأكل والحرص على عدم الامتلاء المفرط للمعدة[1]، وجاء في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[2].

[1] ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق ، ص 159

[2] المصدر نفسه ،ص ص161-170.

أ. العزل والحجر الصحي:

وقد وردت مجموعة من الأحاديث النبوية تحث على العزل الصحي وجاء في قوله (ص): "لا يُورِدُ مُمرِضٌ على مُصِحٌ[3]، وجاء في قوله أيضاً عن الطاعون: «إِذَا سَمِعتُم بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرارًا مِنْهُ»[4].

وقد احتفظت لنا المصادر التاريخية شواهد واضحة على ممارسة العزل الصحي في الأندلس، وهو ما أكّده ابن خاتمة، حيث استشهد بحادثة تتعلق بسجناء مدينة إشبيلية الذين وجدوا أنفسهم معزولين في سجن "دار الصنعة"، مما أدى إلى نجاتهم من وباء الطاعون الذي اجتاح المدينة. فيقول":وتواترت الأخبار بسلامة أماكن لم تطأها الأقدام، ومنقطعة عن الطرق. ولا عجب في هذا العهد من سلامة الأسرى المسلمين – أنقذهم الله – في دار الصنعة بإشبيلية، وهم بالألوف، لم يصل إليهم الطاعون وقد كاد يستأصل المدينة"[5].

ب . الغذاء الصحي:

حصر ابن الخطيب هو آخر سبل الوقاية من الطاعون في مسارين الأول يعتمد على ضبط الغذاء بانتقاء المعتدل المائل الى البرودة وتنقية الأجواء بالعطور الفواحة وتفادي مواطن الفساد وأما الثاني، يتمثل في الابتعاد عن المرض والأماكن الموبوءة مع اتخاذ إجراءات طارئة كحماية النفس والاعتماد على

---

[1] يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، المرج السابق، ص111.

[2] سورة الأعراف، اية 31.

[3] إسماعيل بن محمد البخاري(ت256هـ)، الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تح، محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، دار طوق النجاة، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، حديث رقم5728، المجلد السابع، ص243.

[4] البخاري، المصدر نفسه ،ص233.

[5] ابن الخطيب، مقنعة السائل، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف ، تح، محمد حسن ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة، ط1، تونس ، 2013، ص 114.

الروائح النقية واللجوء إلى المرتفعات عند امتداد الوباء[1]، إضافة إلى هذا فقد سجل ابن حجر جهوداً وقائية لمواجهة الطاعون ركزت على تطهير البيئة واستهداف ناقلي العدوى من البشر والقوارض وتعزيز مناعة الأفراد وتجنب ملامسة أدوات أو مواد قد تحمل الجرم الفتاك[2]. إلى جانب تحذيرات صارمة من استهلاك لحوم الحيوانات النافقة أو المصابة، مجسدين بذلك رؤية متقدمة لصحة المجتمع ككل[3].ومن بين طرق الوقاية إصلاح الأبدان بالغذاء والدواء، حيث يؤكد الشقوري على أهمية الاعتدال في الغذاء وجودته ويقول في ذلك "أما الغذاء فمنه مجتنب ومستعمل"[4]، بالإضافة الى ذلك ينصح بتجنب الإفراط في الأكل وخلط الأطعمة غير متوافقة، حيث يذكر "والمجتنب كثرة الأكل وقلة الشُّرب..."[5] ويحذر الجمع بين أغذية كثيرة في مرة واحدة فالغذاء في فكر الشقوري "يحتاج أن يكون أميل إلى الموافقة للمزاج"[6]، فالزيادة الطعام حتى لو كان نافعا قد يتحول إلى ضرر خاصة إذا كان سيئا.

وفي حالات المرض يستخدم الغذاء كدواء حيث يختارها لمعالجة المرض ويقاومه مثل "استعمال الحامض في المرض دواء"[7]، ومع تجنب الإفراط في الأغذية التي قد تتسبب مضاعفات كالثوم والبصل رغم فوائدهما في مقاومة الأوبئة، كما ينصح بالاعتدال في تناول الفواكه "قليلها خير من كثيرها"[8] والحرص على جودة الأطعمة مثل الخبز المصنوع من الحنطة الجيدة والمخمر بشكل جيد[9].

فهذه التوجيهات تبرز أهمية التوازن في التغذية واختيارها ما يناسب الصحة لضمان سلامة البدن.

---

[1] ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص66.

[2] ابن الحجر العسقلاني، بذل الطاعون في فضل الطاعون، المصدر السابق، ص25.

[3] بلجة عبد القادر، مملكة غرناطة النصرية في مواجهة الطاعون، المرجع السابق، ص158.

[4] أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري، النصيحة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تح، محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، ط1، تونس، 2013، ص259.

[5] المصدر نفسه، ص259.

[6] أبو عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري، النصيحة، ص260.

[7] نفسه، ص260.

[8] المصدر نفسه، ص260

[9] نفسه، ص260.

تنقية الهواء:

اعتمد الأطباء المسلمون، ومنهم أطباء الأندلس[1]، نهجاً وقائياً شاملاً لمواجهة الطاعون[2]، تمثل في في تعقيم المنازل بالعطور الباردة مثل الورد والخل، وحرق الأخشاب العطرية لتنقية الهواء، وقد اختاروا هذه النباتات بناءً على التجربة والملاحظة، لإيمانهم بأن نقاء الهواء يسهم في الوقاية من المرض[3]التي كان بمثابة مطهرّات للهواء، كما شددوا على النظافة الشخصية وتفادي المياه الراكدة، والابتعاد عن الإستحمام المضر، [4].مع الحرص على طرد الروائح الكريهة باستخدام مواد طبيعية مثل:الصنوبر[5].

وعلاوة على ذلك يذكر الشقوريأن إصلاح الهواء يتم عبر عدة وسائل منها التبخير لقطع الفساد وإزالته وذلك حسب حالة الجو حيث الصنف الأول يستخدم في الأجواء الكثيفة الضبابية والباردة أو الرطبة مثل: القطران، السندروس، الكندر المعية والمر المصطكى ويوضح أن هذه المواد تفيد في تقوية الأجسام الضعيفة وأجسام الشيوخ، خاصة عند وجود الصحة وقبل ظهور المرض[6].

أما الصنف الثاني الذي وضعه الشقوري يستخدم في الأجواء الصافية والحارة مثل الورد، الصّندلان، الطّرف والكافور مع قليل من العود الهنديّ "وهذا إذا كان الجوّ صافياً نقيّاً، ومع كثرة الحرّ والوهج"[7] ووضع أصناف من النباتات مثل ورق الكرم وورق القصب الأخضر والبردي في البيوت وتركمها لمدة ثلاث أيام لتنقية الهواء "وورق الكرم وورق القصب الأخضر والبرديّ "وتُزال هذه الخضر على رأس ثلاثة

[1]تريكي فتيحة ،المرجع السابق، ص333

[2]بلجة عبد القادر، مرجع سابق، ص158

[3]تريكي فتيحة، المرجع السابق، ص334

[4]. بلجة عبد القادر، المرجع سابق، ص 158.

[5]تريكي فتيحة ، المرجع السابق، ص335

[6]الشقوري، النصيحة ضمن ثلاث رسائل اندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق، ص257.

[7]المصدر نفسه، ص257.

أيّام"[1] ورش أسطح البيوت والجدران بالماء ثم إغلاق الأبواب لتعطير المكان بالبخور مما يساعد في إصلاح الهواء الفاسد "ويسدّ الباب ليعلّق في أجزاءه البخور... فيغلب الاصلاح على الجزء الفاسد"[2].

إعتمد الأندلسيون على وسائل متعددة للوقاية من الطاعون، منها التبخير واستخدام النباتات الطبية التي تعزز مناعة الجسم وتساعد في مقاومة السموم. وتشير الباحثة تريكي إلى أن مصطلح "المناعة" لم يكن معروفًا آنذاك، بل كانوا يعبرون عن المفهوم بمصطلحات مثل "الموافقة" و"الاستعداد"، في إشارة ضمنية إلى قدرة الجسم على مقاومة الأمراض[3]، كما أكّدوا على أهمية النظافة العامة، ومكافحة انتشار الأوبئة، والسيطرة على الحيوانات المؤذية كإجراءات وقائية أساسية.

وعليه هذه الإجراءات الوقائية التي ذكرناها فهي تعد درعاً واقياً، يحافظ على نعمة الصحة ويصون الانسان من المخاطر.

ثالثاً: العلاج من الطاعون:

1- العلاج بالنباتات الطبية :

لقد شهد الطب في الأندلس تنوعا لافتاً في أساليب العلاج وتطور مع تراكم الخبرات ومواكبة الامراض المستجدة، فاشتغل الأطباء ثراء البيئة النباتية المتنوعة التي وفرت مواد طبيعية فريدة لابتكار عقاقير ناجحة تحاكي تحديات العصر الصحية"[4]، اذ استمر الطب الإسلامي بتركيزه على العلاج بالغذاء بدلا من الأدوية الضارة مع الاكتفاء بها عند الضرورة وإبداعهم في نظم أنظمة غذائية علاجية[5]،

---

[1] نفسه، ص258

[2] نفسه، ص258.

3 تريكي فتيحة: النباتات النفعية ومجالات استخداماتها، المرجع السابق، ص314--337.

[4] سعداوي نصيرة، سليماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس، المرجع السابق، ص35.

[5] بولقدام ناصرية، كيحل عومرية، المنظومة الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنيين 2-4هـ/8-10م، مذكرة مقدمة لاستكمال المتطلبات لنيل شهادة الماستر، تخصص، تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، عليلي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1444-1445هـ/2023-2024م، ص52.

فالحرص على اختيار الأغذية المفيدة للجسم وتجنب الضار منها[1]، إذ اعتمد النظام الغذائي في الأندلس على محاصيل الحبوب والخضروات والفواكه والمنتجات الحيوانية تماشياً مع العادات الإسلامية[2]، فقد اهتم أهل العلم بدراسة خصائص الأغذية لارتباطها بالحفاظ على الصحة وعلاج الأمراض[3].

اشتهرت مدن الأندلس كقرطبة وإشبيلية و غرناطة وبلنسية بحدائقها الغنية بالأعشاب كالزعفران والزنجبيل لعلاج الأمراض، مع ضرورة اتباع نظام محدد عند استخدامها[4]، و انتشرت صناعة الأدوية في الأندلس لوفرة الأعشاب فاشتغل العشابون خبرتهم لعلاج المرضى فصاروا مقصدا للعامة[5].

من بين العلاجات المقدمة في هذا المجال، كان الطبيب يوصي المصاب بتناول نبات الصندل[6] الذي الذي يتشابه في مظهره مع أشجار الرمان، إلى جانب إلزامه بنظام غذائي قائم على خبز القمح ومنع أي أطعمة لحمية مع مراعاة إجراءات داعمة مثل ضمان تدفق الهواء داخل غرفته وتعقيم حائطها بمزيج خلي مخفف[7]، علاوة على ذلك تتمتع شجرة النارنج بسمعة طبية رائعة في طب الأعشاب، إذ تُستخلص من من أجزائها المختلفة خصائص علاجية متنوعة.فقشرها ذو طبيعة حارة وجافة، بينما يتميز لبها الحامض ببرودته ويبسه، أما أوراقها وجذورها فتحمل تأثيرا دافئاً ومجففاً وإذا جفف نشر جذر الشجرة وسحق ثم

[1] مسعود كلاتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح الى سقوط دولة الموحدين، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، بإشراف: عبد الحميد حاجيات، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1411-1412هـ/1990-1991م، ص179-180.

[2] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص193.

[3] إسحاق بن سليمان المعروف بإسرائيلي، الأغذية والأدوية، تح، محمد الصباح، مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر، ط1، بيروت، لبنان، 1992، ص11.

[4] سعداوي نصيرة، سليماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس، المرجع السابق، ص37.

[5] مليكة عدالة، فاطمة بلهواري، المرض وأعراضه، المرجع السابق، ص169.

[6] نبات الصندل :هو من جنس الشجر والمعروف بالشنفين، فشجر الصندل يسبه شجر الرمان في شكله، ومنابته في شواهق الجبال وهو عطر الرائحة، حيث يصنع من خشبه الألواح والأمشاط والصناديق والتخوت لعظم خشبه .ينظر: أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح، محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، بيروت، 1995ص403-405.

[7] بوكرابيلة زهرة، فاطمة مطهري، الأمراض والاوبئة، المرجع السابق، ص424.

خلط بزيت عطري نقي، شكلَّ هذا المركب علاجا فعالا في تخفيف آلام لدغات العقارب[1].وربما كان استخدام النارنج في علاج لدغات العقارب سببًا في لجوء بعض الناس في الطب الشعبي إلى استعماله أيضًا في الوصفات العلاجية لمقاومة أمراض خطيرة مثل الطاعون، لأنهم كانوا يرون أن الطاعون يشبه السم الذي ينتشر في الجسم.

فتنبه الأطباء لنبات القرع لما تملكه من خصائص فعالة، ممّا يجعله معياراً مثالياً لتهدئة ذوي المزاج الحاد أو المصابين بالحمى، حيث يساهم في توازن حرارة الجسم الداخلية[2]، فاعتمد سكان المغرب العربي قديماً على خليط من مسحوق اليقطين المجفف وطحين الفول كعلاج فعال لوقف النزيف إلى جانب استخدام تقنية الكي كأسلوب تكميلي لسيطرة على الحالات الشديدة[3]، إضافة إلى الثوم الذي يتميز بفوائده في مقاومة الأورام الباردة[4]، ولفعالية مضادة للطاعون ينصح بالتبخير بمزيج من القطرات والسندروس والكندر مع إضافة خليط عطري من الورد والصندل والكافور ومطعم ببذرة من عود الهندي[5].

يؤكد ابن خاتمة أن الحمى الوبائية تختلف عن سائر الحميات إذ تنشأ من سوء مزاج قلبي، حيث تبدأ الحرارة في القلب أولاً قبل أن تنتشر إلى سائر البدن، مما يؤدي إلى "الأعراض الغريبة والأحوال السمجة ما يظهر بالمدينة إذا خلت عن تدبير قيمها"[6]، ولذلك فان العلاج يجب أن يركز على أمر القلب وعضد قوته مع المبادرة السريعة قبل استحكام المرض[7] وأول خطوة في العلاج الفصد (إخراج

---

[1]عمر بن ابن عمر بن محمد ابن الوردي، منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرياحين، تح: محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د.ت، ص174.

[2]ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص317.

[3]محمد بن أحمد شقرون، مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ-1985م- ص223.

[4]ابن القيم الجوزية، الطب النبوي، المصدر السابق، ص227.

[5]عبد الرحمان بلاغ، التراث الطبي في الأندلس، المرجع السابق، ص613.

[6]ابن خاتمة، تحصيل غرض القاصد ، ضمن ثلاث رسائل أندلسية، المصدر السابق، ص174

[7]المصدر نفسه، ص175

الدم)، حيث يقول ابن خاتمة: "فإذا تحصل هذا من أمر استفراغ الدم، فالذي ينبغي أن تكون عليه الحال في علاج مستشعر هذا المرض"[1]، يفضل فصد العروق مثل القيفال للصداع أو الباسليق والاكحل (لأعراض شاملة) مع إخراج الدم حتى يشعر المريض بالغثي "فان غالب حال الدم في هذا الحادث يكون أسود ثخيناً ...يعلوه ماء رقيق أخضر غبرة علامة شرّ" وبعد الفصد يعطي المريض شراب التفاح الممزوج بماء الورد والليمون والمسك لتعزيز القلب ويمسح صدره بماء الورد المخلوط بالخل، كما ينصح بتناول الرمان الحامض والراحة التامة[2].

وهكذا يجمع ابن خاتمة بين العلاج الفوري الفصد والتعافي التدريجي لتقوية القلب مع تحذير شديد من تأثير العلاج أو التعرض للعدوان.

2- العلاج الطبيعي بالحمامات و العيون:

لم تقتصر ممارسات الطب الشعبي على الأعشاب، بل حرص سكان الغرب الإسلامي على توظيف العلاج الطبيعي عبر الحمامات العامة والعيون الكبريتية المنتشرة، لما تتمتع به مياهها من خصائص شفائية تساعد في علاج أمراض مستعصية مثل العقم والجذام، فضلاً عن تخفيف الحمى والالتهابات الجلدية .واعتبرت هذه الممارسات طبيعية لتنقية الجسم من السموم كنهج وقائي[3]، كما تميزت مدينة فاس بجمعها صفات المدن المثالية وأبرزها نهر الجوهر الذي ينبع من سنتين عينا غالبيتها جنوبية ويعد تحفة لصفاته وسرعة تأثره بالحرارة والبرودة وفعالية في إذابة حصى المثانة، كما اشتهرت بعيونها الحارة كخولان[4]ووشتاتة[1] وحمة أبي يعقوب[2]، التي تجمع بين الاستشفاء والاسترخاء[3].

---

[1] نفسه، 176

[2] نفسه، 176-177.

[3] يخلف ايمان، المنظومة الطبية في بلاد المغرب الإسلامي من القرن 2هـ الى نهاية القرن 8م/ 88-14م، مذكرة لنيل شهادة ماستر في في التاريخ الوسيط، بإشراف، عبد الجليل قربان كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 8ماي 1945، قالمة، 1438-1439هـ/2016-2017م، ص35.

[4] حمة خولان: هي الحمة التي تعرف بسيدي حوازم تقع على بعد 15كلم الى الجنوب الشرقي منها تنبع فيها مياه غنية بالغاز الكربوني تبلغ حرارتها 35درجة وقد شرعت الدولة المغربية في السنين الأخيرة في تجهيزها وتزويدها بالمرافق العصرية التي تجعل إقامة المستحمين

كما تقع على مقربة من مدينة المرية مدينة تزهو بوجود ينبوع حراري غزير التدفق يقبل عليه المرضى للاستشفاء، حيث يلاحظ تحسن الحالات التي تواظب على المكوث بقربه وقد شيدت حوله فنادق حجرية أنيقة الاستضافة الزائرين الباحثين عن فوائد هذه الحمة العلاجية الفريدة[4]، إذا تمثل الحمة كنزاً علاجياً طبيعياً بجمع بين فوائد الصيد وشفاء الأمراض وملاذا أمناً من المخاوف والأمراض كأنها جوهرة نادرة، أما مياهها المتدفقة بالخير فمخصصة لدعم الزعماء كرمز لتضاعف البركات ونعيم الساقية[5].

حيث رفع الإسلام من شأن النظافة روعاً وجسداً ودعا القرآن إلى التطهير وجاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾[6]، فجعلت الطهارة أول أبواب النظافة، وحمامات الأندلس بتصميمها المبتكر كانت نصباً للصحة والجمال تقلل الأمراض لقربها من المساجد فتسير الوضوء قبل الصلاة، وتخلص الأجساد من الشوائب بتبخير يفتح المسام ويوازن حرارة الجسم[7]، كما تتجلى غرب

فيها مريحة، ينظر: على الجزئاني، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح، عبد الوهاب ابن منظور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411هـ-1991م، ص36.

[1] حمة وشتاتة: تقع هذه الحمة خلف جبل زالغ غير بعيد عن باب وشتاتة ومياهها دافئة غنية بمادة الكبريت لكنها ضعيفة فلذلك قصر النفع بما على السكان المجاورين لها والمارين بها، ينظر: علي الجزئاني، المصدر نفسه، ص36.

[2] حمة أبي يعقوب: هي حمة واقعة في الشمال الغربي من فاس على بعد 15كلم منها تعرف اليوم بمولاي يعقوب، تنبع فيها مياه سخنة تشمل كميات وفيرة من الكبريت يومها الناس من داخل المغرب وخارجه لعلاج الروماتيزم والأمراض الجلدية والزكام الدماغي، ينظر: علي الجزئاني، المصدر نفسه، ص36.

[3] المصدر نفسه، ص36.

[4] زكريا محمد بن محمد القزويني، أثار البلاد وأخبار العباد، دح، دار صادر، الدار البيضاء، بيروت، د.ت، ص509.

[5] لسان الدين ابن الخطيب السلماني، معيار الاختيار في ذكر معاهد الديار، تح، محمد كمال شبانة مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ-2002م، ص124.

[6] سورة البقرة، آية 222.

[7] تواتية بودالية، البيئة في بلاد الاندلس، المرجع السابق، ص362.

غرناطة ينبوع وشفاء يجمع فيه الناس سنوياً للبركة والاستشفاء[1]، وحمامات غرناطة رموز العناية وتزاوج حرارتها وبرودتها[2]، كحمة بجانة[3].

3) العلاج بالأدوية الصيدلانية:

اعتمد العلاج قديماً على العقاقير البسيطة نباتية حيوانية معدنية فإذا قتلت بصار للمركبات الدوائية وصنف الأطباء العقاقير عبر اختيار تأثيرها وزمن فعاليتها معتمدين على الفحص الحسي للطعم والرائحة واللون[4] حيث ارتكزت صناعة العقاقير على الفحص الحمي طعما ورائحة ولون وبارك الإسلام التداوي[5]، التداوي[5]، وجاء في قول الرسول(ص): "تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءٍ إِلَّا وضع لَهُ شِفَاءً ."[6]، وفي جنات الأندلس حيث الثراء الطبيعي أنهار، تربة خصبة، نباتات كالجنطيانا[7] كانت الأعشاب ملاذ ملاذ القرون الثانية[8]، إذ يشير مرعي بن يوسف الكرمي في نقله عن ابن أبي حاتم إلى توصية الإمام النافعي باستخدام البنفسج كدهون أو مشروب لمواجهة الأوبئة مبرزاً فعالية هذا العلاج الطبيعي[9]،

---

[1] بن عسلون زهرة، بلهزيل جيهاد، المرض والوباء من خلال المؤلفات الطبية بالغرب الإسلامي القرنين(4هـ_8هـ/10م_14م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر الطور الثاني، ل م د، في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، بإشراف، شرقي نوارة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020_2021، ص39.

[2] سعداوي نصيرة، سليماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس، المرجع السابق، ص41.

[3] حمة بجانة: الحمة والحمة في رأس جبل وبذكر المتجولون في أقطار الأرض أن ما مثل هذه الحمة في المعمور من الأرض والاتقان منها بناء ولا أسخن منها ماء والمرضى والملعون يقصدون اليها من كل الجهات فيلزمون المقام بها الى ان تشتمل عللهم ويتفوا من امراضهم، ينظر: الشريف ادريسي، نزهة المشتاق في اشراف الافاق، مكتبة الثقافة الدينية، المجلد الأول، القاهرة، 2002 ، ص566.

[4] تواتية بودالية، البيئة في بلاد الاندلس، المرجع السابق، ص 353.

[5] سعداوي نصيرة، سليماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس، المرجع السابق، 37.

[6] البخاري، الجامع المسند االصحيح، كتاب الطب، الباب ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً، الحديث رقم5678، ص122

[7] نبات الجنطايا: هو نوع من النباتات عرف هذا النبات ملك يسمى جنطيس، وله عدة أسماء وأشكال .يعرف بأنه نبات يشبه ورق الحور أو النوع الصغير، وله طعم مر، يستخدم في علاج بعض الأمراض ، ونباته في رؤوس الجبال الشامخة الباردة بقرب مواضع المياه .ينظر: أبو الخير الإشبيلي، عمدة الطبيب في معرفة النبات، المصدر السابق، ص140.

[8] سعداوي نصيرة، سليماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس، المرجع السابق، ص37.

[9] مرعي بن يوسف الكرمي، إخلاص الوارد في صدى الميعاد، المصدر السابق، ص44.

حيث ينتج الإعياء التمددي عن تراكم الفضلات ويعالج بالفصد للأجساد ذات المزاج الرديء أو بالتخفيف الغذائي أماني حالات الورم فيستجيب الفصد المبكر من العرق القريب من العضو المتأثر[1]، كما أنشأ الأندلس المستشفيات متخصصة في معالجة أمراض كالجرب والجذام والجدري والتي كانت تصيب الطبقات الفقيرة مستند من المياه الحارة الغنية بالمعادن للعلاج[2]، حيث قسمت إليها البيمارستانات إلى جزأين مستقلين أحدهما للرجال والأخر للنساء مع توفير كافة التجهيزات والأدوات الطبية اللازمة في كل منهما[3].

ومن خلال ما سبق يمكننا القول بأن العلاجات الطبية لطاعون القرن الرابع عشر الميلادي ببلاد الأندلس يعد مزيجا من الحكمة والابتكار في ظل تفشي الطاعون بالقرن الرابع عشر، برزت جهود أطباء الأندلس كشاهد على تكامل المعارف الطبية في التراث الإسلامي ، فاعتمدوا منهجية شاملة جمعت بين العلاجات مثل استخدام الأعشاب الطبية والمركبات المعقدة والتدابير الوقائية كالعزل الصحي وتنقية الهواء إلى جانب الوصفات الطبيعية المستمدة من بيئة الأندلس الغنية، لم تكن هذه الإجراءات مجرد محاولات للتغلب على الوباء، بل تعكس رؤية طبية متقدمة سعت لفهم أسباب المرض وطرق انتشاره، ممتدة إلى الملاحظة الدقيقة وتجارب الأطباء كابن الخطيب وابن خاتمة، رغم محدودية الإمكانات آنذاك، إلا أن هذه الجهود شكلت إرثا علميا أثر في مسيرة الطب الإنساني، وأظهر قدرة العقل الأندلسي على تحويل الأزمات إلا فرص للبحث والاكتشاف.

[1] ابن سينا، القانون في الطب، ج1، المصدر السابق، ص249.

[2] تواتيةب ودالية، البيئة في بلاد الاندلس، المرجع السابق، ص172.

[3] تواتية بودالية، المرجع نفسه، ص149.

المبحث الثالث: رؤية العلماء المسلمين للطاعون 749هـ-1348م في بلاد الأندلس بين الدين والعلم:

يعد طاعون 749هـ-1348م أو ما يعرف بالطاعون الأسود واحداً من أخطر الأوبئة الفتاكة في التاريخ إذ انتشر كل من أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا بما في ذلك الأندلس وقد كان له تأثير كبير على المجتمعات الإسلامية والمسيحية ، واعتبره العلماء في ذلك الوقت كارثة عظيمة وابتلاءً شديداً. وفي هذا البحث سنقوم بدراسة نظرة العلماء في الأندلس إلى هذا الوباء من خلال الجانبين الديني والعلمي، وكيف حاولوا فهمه والتعامل معه في ضوء ما كان متاحاً لهم من معرفة واعتقاد.

1- التفسيرات الدينية للطاعون:

في إطار التفسير الإسلامي، رأى الكثير من العلماء المسلمين أن الطاعون كان نتيجة لغضب إلهي بسبب كثرة الفواحش والمعاصي، وابتعاد الناس عن الشريعة. وقد ركّزت هذه الرؤية على الإيمان بأن كل ما يحدث في هذا العالم هو من قضاء الله وقدره، ولا يمكن دفعه أو تغييره. لذلك اعتبروا أن الوباء اختبارًا من الله ودرسًا للناس حتى يعودوا إلى طريق الهداية والتقوى، مع تصديق تام بأن كل ما يحدث له

حكمة إلهية قد لا نفهمها، لكن نؤمن بها. وهكذا صار الطاعون في نظرهم فرصة للتفكر والتوبة والرجوع إلى الله، مع الاعتقاد بأن ما يصيب الإنسان هو من مشيئة الله التي لا يُعترض عليها، ولا يُسأل الله عمّا يفعل، وهم يُسلِمون بقضاء الله وقدره.[1]

ولقد وردت في السنة النبوية الشريفة العديد من الأحاديث التي تتحدث عن الطاعون، حيث حذر النبي (ص) من خطورته وبيّن أنه ليس مجرد مرض عادي بل هو أكثر من ذلك، فهو عقوبة إلهية ينزلها الله سبحانه وتعالى على من يبتعدون عن طريق الحق ويسرون على الانحراف وعن جادة الصواب، هذه الأحاديث تظهر نظرة عميقة للطاعون لا تقتصر على كونه وباءًا جسديا فحسب بل تتعداه لترى فيه بعداً روحياً وأخلاقياً، حيث يعتبر علامة من علامات الله تعالى تذكيراً للناس بعواقب الغفلة عن أوامر الله واتباع سبل الضلال.

وهكذا يرى العلماء الطاعون كاختبار الهي ودرس روحي يذكر البشر بضعفهم أمام قدرة الله ويدعوهم الى مراجعة أنفسهم وإصلاح علاقتهم مع خالقهم[2]، وقد جاء في هذا الحديث عن ابن عمر قال: ((كنتُ عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله (ص)، فأقبل علينا رسول الله (ص) بوجهه، فقال: يا معشر المهاجرين.. خمس خصالٍ -أعوذ بالله أن تدركوهن-: ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوها إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولا نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله في كتابه إلا جعل الله بأسهم بينهم))[3]، كذلك عن عائشة رضي الله عنها أنها سألت رسول الله (ص) عن الطاعون فأخبرها:

---

[1] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص316.

[2] فوزي خيري كاظم، "التفسير الديني للأوبئة عند بعض المؤرخين المسلمين _الطاعون نموذجا"_ مجلة الكلية الامام كاظم، المجلد8، العدد2، حزيران 2024، ص19.

[3] أبي بكر عبد الله بن محمد ابن أبي الدنيا، العقوبات الإلهية للأفراد والجماعات والأمم ، تح، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط1، بيروت، لبنان، 1416هـ-1996م، ص25.

"سألتُ رسولَ اللهِ (ص) عن الطاعونِ، فأخبرني أنَّهُ كانَ عذابًا يبعثُهُ اللهُ على مَن يشاءُ، فجعلهُ اللهُ رحمةً للمؤمنينَ، فليسَ من عبدٍ يقعُ الطاعونُ، فيمكثُ في بلدِه صابرًا، يعلمُ أنَّهُ لن يُصيبَهُ إلا ما كتبَ اللهُ له، إلا كانَ لهُ مثلُ أجرِ الشهيدِ".[1] فلعل الحكمة من التعبير عن الأجر بمثل أجر الشهيد مع ثبوت أن من يموت بالطاعون شهيداً هي التمييز بين موتتين: الأولى لمن قضي بالطاعون فنال درجة الشهادة الكاملة ، والثانية لمن بقي في أرض الوباء صابراً محتسباً فكتب له أجر يشبه أجر الشهيد دون أن يبلغ منزلة الشهيد الحقيقي .

فالموت بالطاعون يرفع الإنسان إلى مرتبة الشهيد، بينما يعطي الصابر مثل أجره، إشارة إلى أن لقب الشهيد شرف خاص بمن استوفى سببه أما من نال مثل أجره فله فضل عظيم لكنه دون تلك الرتبة السامية. وجاء في حديث أبي هريرة-رضي الله عنه- رفعه: "المَبْطُونُ شَهيدٌ والمطْعُونُ شَهيدٌ" كذلك عن عبد الله بن يوسف عن مالك مطولاً بلفظ: "الشهداء خمسة: المطعون والمبطون والغرق وصاحب الهدم والمقتول في سبيل الله"[2].

فالطاعون في المنظور الديني ليس مجرد وباء يصيب الأجساد بل هو عقوبة ربانية تنزل حين يشيع الفساد في الأرض، ويتمادى الناس في معصية الله. وقد كان بنو إسرائيل أول من عرفوا هذا البلاء ، حيث انتشرت بينهم الرذائل من زنا وربا، فأنزل الله عليهم الطاعون تأديباً واختباراً وهكذا جعل الله الطاعون سنة كونية تذكر البشرية بأن الفساد لا يمر دون عقاب، وأن الله يدبر الكون بحكمة بالغة فيصيب بالداء من يسير على ضلال[3]، وجاء في قوله صلى الله عليه وسلم: "لم تظهَرِ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلِنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضَتْ في أسلافِهم"[4]، وقوله كذلك:

---

[1] أبي الطيب بن حسن بن علي الحسيني القنوجي البخاري، العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، تح، خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص191.

[2] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري يشرح صحيح البخاري، تح، عبد القادر شيبة الحمد، ج10، ط1، الرياض 2001، ص ص163-164.

[3] مرعي بن يوسف الكرمي، ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون، المصدر السابق، ص7.

[4] ابن حجر العسقلاني، فتح الباري يشرح صحيح البخاري، ج10، المصدر السابق، ص203.

"الطاعونُ رجزٌ أُرسِلَ على طائفةٍ من بني إسرائيلَ، أو على مَن كان قبلَكم، فإذا سمعتم به بأرضٍ، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرضٍ وأنتم بها، فلا تخرجوا فرارًا منه"[1]، يوجه هذا الحديث النبوي إلى ضرورة الالتزام بالحكمة الوقائية في مواجهة الأوبئة فيرشد المسلمين إلى البقاء في المكان الذي تفشى فيه الداء تجنباً لنقل العدوى إلى غيرهم على نهج التعاليم الإسلامية التي تجعل من حفظ الصحة العامة مسؤولية أخلاقية تعزز قيم التضامن الاجتماعية و تحصن المجتمعات من تفاقم الأزمات[2].

أشار جوزيف بيرن في كتابه "الموت الأسود" إلى أنّ عددا من الفقهاء والأطباء المسلمين في العصور الوسطى اعتبروا أنّ الطاعون هو نوعاً من العذاب الإلهي أو الموت الأسود وأنه ابتلاء من الله لا مفر منه، كما ورد في مؤلفات إبن القف والطب الجزري أن الطاعون مرتبط بإرادة إلهية وأنه يصيب الناس بسبب فساد سلوكهم أو ابتلائهم في دينهم. وقد استشهد بيرن بنصوص فقهية وطبية إسلامية تفسر الوباء على هذا الأساس[3]، "وقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن النظرة الغالبة لدى العلماء والفقهاء، وعامة الناس، أن وقوع الوباء بسبب إرادة الله، وأن التفسيرات المختلفة تبحث في كيفية إبقائه وفق مشيئته. وأضافت أن انتشار الخوف وعدم الأمان وقلة اللجوء إلى الأطباء، أدى إلى تتصاعد الرغبة في الاعتماد بالدين"[4].

– التفسير العلمي لطاعون:

من خلال دراستنا حول مواجهة الطاعون في الأندلس، أشارت الباحثة تريكي في دراستها إلى تباين تفسيرات الأطباء في ذلك العصر. فرغم براعة ابن زهر التشخيصية، أكد عجز الطب أمام أسرار هذا الوباء، معتبرًا أن ذلك يعود إلى القدرة الإلهية. في المقابل، رأى أبو العباس الصقلي أن العلاج كان مجرد وسيلة للتخفيف من أمراض لا يمكن تفسيرها بشكل كامل. أما ابن خاتمة، فقد تبنى رؤية بيئية

[1] بدر الدين العني، عمد القاري يشرح صحيح البخاري، ج10، المصدر السابق، ص471.

[2] فوزي خيري كاظم، التفسير الديني للأوبئة، المرجع السابق، ص20.

[3] جوزيف بيرن، الموت الأسود، المرجع السابق، ص400.

[4] أميمة حسن المهدي، "الأوبئة بين التفسيرات العلمية والتفسيرات الدينية قراءة في المصادر المملوكية في القرن الخامس عشر الميلادي"، حوليات إسلامية 58، جامعة الزقازيق، مصر، 2024، ص193.

سبقت عصره، حيث ربط تفشي الطاعون في الأندلس بموقعها الجغرافي وتأثيرات المناخ والرياح، مقدمًا بذلك مبادرات مبكرة لفهم العلاقة بين البيئة والصحة، ومحاولًا فك لغز المرض بعيدًا عن التفسيرات الغيبية.[1]

وفي عيون ابن الخطيب كان الطاعون مرضاً حاراً يفرز الجسد عبر الهواء الفاسد فيفسد الدم ويحيل الرطوبات إلى سموم محدثاً الحمى واختلالاً في الأخلاط كان يراه قوة خفية تتسلل الى الروح والجسد معاً مما يجعله ظاهرة طبيعية تمزج بين عناصر الأرض والهواء[2]،

وأضاف ابن الخطيب أن الطاعون مرض غامض يترك بصماته على الجسد عبر بثور تحمل ألوانًا متعددة، مثل الخضرة الزاهية، والطاوسية المتلائلة، و الأسموجنية القاتمة، والسواد العميق. وكانت هذه الألوان في نظره دليلاً على تحول الرطوبات الجسدية إلى سموم، وانقلاب الأخلاط إلى سواد فاسد، بحيث كان كل لون يعكس شدة المرض وقوته. وهكذا يصبح الجسد لوحة تعكس صراعًا خفيًا[3]، وقد وصف الطاعون بالعبارات التالية كالوجع و السقم "[4].ممّا يدل على أنّه مرض شديد الألم.

إنّ الطبيبين ابن خاتمة وابن الخطيب لم يكتفيا بتحليل أسباب ظهور الطاعون من خلال العوامل الفلكية والجغرافية فقط، بل قدّما تفسيرًا آخر يستند إلى فساد الهواء وتلوّثه، وهي فكرة لقيت رواجا كبيرا في الفترة الوسيطية عُرفت فيما بعد بنظرية الأبخرة، فتلوث الهواء الناجم عن كثافة العمران، وما ينتج عنه من روائح عفنة ورطوبات متعفنة، ووفقًا لهذه النظرية، فإن الطاعون ينتشر بسبب تلوّث الهواء وانتقال الأبخرة الضارة إلى الجسم وتتفشى الأوبئة[5].

---

[1] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص317.

[2] ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص65.

[3] المصدر نفسه، ص67-68.

[4] ابن الحجر العسقلاني، المصدر السابق، ص77.

[5] جوزيف بيرن، الموت الأسود، المرجع السابق، ص400-401.

ولا ترجع جذور هذه الفكرة إلى الفترة الوسيطية فقط، بل تعود إلى فترة سابقة كالفترة اليونانية حيث ظهرت تصوّرات مماثلة في الطب اليوناني حول تأثير الهواء الفاسد في انتشار الأمراض[1].

وتشير الباحثة تريكي أنَّ العديد من الدراسات الحديثة أعادت إحياء نظرية الأبخرة، دون الالتفات إلى التغيرات والتطورات العلمية اللاحقة، لا سيما في مجالي علم الجراثيم وطب الأوبئة، مما يستدعي مراجعة نقدية لطريقة توظيف المفاهيم التاريخية في سياقات علمية حديثة.[2]

ظهرت إشكالية "العدوى" والطاعون في التراث الإسلامي، حيث سعى العلماء إلى التوفيق بين النصوص الدينية الظاهرة في نفي العدوى، وبين الواقع الطبي والتجريبي الذي يؤكد وجودها. وقد عبّر ابن الخطيب عن هذا التباين بقوله:"**وقد ثبت وجود العدوى بالتجربة والاستقراء والحس والمشاهدة والأخبار المتواترة، وهذه مواد البرهان**".[3]

وفي مواجهة زحف الأوبئة، أنشأت بلاد الغرب الإسلامي عبر تاريخها حصونًا صحية تمثّل إبداعًا نابعًا من حكمة إنسانية وتجربة عملية. فكان العزل الصحي بمثابة جدار وقائي، شيّدته أنامل الخبرة الطبية، مدعومًا بروح المقاومة المجتمعية[4]، ليشكّل درعًا فعالًا في وجه تفشي الأمراض.

وعليه، يمكننا القول إن نظرة العلماء للطاعون، على الرغم من اختلافها، كانت في مجملها **نظرة متوازنة**، حيث مزجت بين الإيمان والعقل العلمي. فمن جهة، اعتُبر الطاعون قضاءً وقدرًا واختبارًا إلهيًا، ومن جهة أخرى، دعت الشريعة الإسلامية إلى اتخاذ الأسباب، مثل العزل الصحي والفرار من الوباء، وذلك اتباعًا لسنة الرسول (ص).وهكذا استطاعت الشريعة الإسلامية أن تجمع بين التسليم لقضاء الله وعبقرية الوقاية، لتؤكد أن الأخذ بالأسباب الطبية لا يتناقض مع التوكل، بل هو إيمان فعّال بإرادة الحياة.

---

[1] تريكي فتيحة، المرجع السابق، ص 318

[2] تريكي فتيحة، النباتات النفعية، المرجع السابق، ص318.

[3] ابن الخطيب السلماني، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص72.

[4] صديقي محمد، الامراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي، المرجع السابق، ص122.

ويُعد طاعون سنة 749هـ/1348م من أخطر الأوبئة التي عرفتها الأندلس في تلك الحقبة، لما خلّفه من آثار اجتماعية وصحية واقتصادية عميقة.

الفصل الثالث:

آثار الطاعون على بلاد الأندلس

- المبحث الأول : الآثار الاقتصادية
- المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية
- المبحث الثالث: الآثار الثقافية

المبحث الأول: الآثار الاقتصادية:

لقد تعرضت بلاد الأندلس لعدة موجات من الأوبئة، وكان من أبرز هذه الأوبئة الطاعون الأسود في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، والذي ترك آثاراً عميقة على مختلف الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مما ساهم في إحداث تحولات كبيرة في بنية المجتمع الأندلسي آنذاك، والتي نعرضها كتالي:

أ- الانهيار الاقتصادي في الأندلس:

1- ندرة الأيدي العاملة:

شكل تفشي الوباء ضربة قاسية للبنية الاقتصادية والاجتماعية حيث أدت الكثافة غير المسبوقة في أعداد الوفيات إلى تراجع حاد في الأيدي العاملة، سواء في الحواضر أو الأرياف لم تكن هذه الظاهرة مجرد أزمة ديموغرافية عابرة، بل تحولت إلى كارثة متشبعة الأبعاد فانعدام اليد العاملة تتسبب في شح الإنتاج الزراعي مما فجر مجاعة طاحنة خاصة في المنطقة إفريقية التي ارتفعت فيها الأسعار إلى مستويات مروعة إذ بلغ "سعر قفيز القمح ثمانية دنانير"[1]، وهو ما يعكس عمق الأزمة المعيشية، لكن تداعيات الوباء لم تقتصر على الجانب الاقتصادي فالطاعون الأعظم لم يكن محايداً في تأثيره بل كان مرآة عكست التحولات الجذرية التي بدأت تنخر جسد المجتمع المغربي فدفعته نحو التراجع والانكماش حيث تحول من مجتمع نام إلى كيان يعاني من الجمود والهشاشة ما أفسح المجال لتراجع مكانته الحضارية والسياسية على المدى الطويل[2].

أدى تفاقم تداعيات الوباء إلى شل حركة الاقتصاد بشكل كارثي حيث تسبب الارتفاع الحاد في حالة معدلات الوفيات إلى إغلاق الأسواق وتعطيل عجلة الإنتاج، خاصة مع توقف العمل في القطاعات الحيوية مثل الزراعة مما فاقم أزمة نقص اليد العاملة في المجال الفلاحي، حتى الأفراد الأصحاء

[1] أبو عبد الله محمد بي أحمد الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، د ط، تونس، 1984، ص98.

[2] أحمد السعداوي، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون الأعظم، المرجع السابق، ص123.

وجدوا أنفسهم عاجزين عن القيام بمهامهم اليومية مما عمق حالة الانهيار الشامل في المنظومة الاقتصادية والاجتماعية[1].

شهدت تلك الفترة تفاقم الأزمات المالية وتراجع صارخ في مختلف الجوانب الحياتية مما أسفر عن انحدار كلي في مستوى المعيشة وتراجع المهن والصناعات الحرفية[2]، وبما أن الطبقتين الفقيرة والمتوسطة تعد الأكثر تضرراً من ويلات الأوبئة إذ يشكلان عصب القوى العاملة في القطاعات المختلفة فقد أدى انهيارهما إلى شلل الاقتصاد وترتب على ذلك نقص حاد في الأيدي العاملة وندرة في المنتجات[3].

شكلت الكوارث كالأوبئة والمجاعات ضغطاً مدمراً على القطاع الصناعي، حيث أسفرت مجاعة عام 628هـ/1231م عن انهيار صناعات رئيسية مثل: الجلود والمنسوجات وطحن الحبوب وغيرها[4].

إلى جانب ذلك شهدت مهن مثل طحن الحبوب وتجفيف الفاكهة كالتين والعنب تراجعاً حاداً في نشاطها[5].

وعليه لم يكن نقص الأيدي العاملة مجرد أزمة مؤقتة، بل كان عاملاً محورياً في تفكك النسيج الاقتصادي الأندلسي، مما عمق التحديات الديموغرافية والسياسية، وساهم في رسم ملامح مرحلة الضعف التي أنهت قروناً من الازدهار الحضاري.

---

[1] فاطمة الزهراء حتحات، وباء الطاعون "الموت الأسود" بأوروبا اللاتينية خلال القرن الرابع عشر ميلادي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الوسيط، تخصص أوروبا في العصور الوسطى، بإشراف، عبد العزيز بو كنة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر 02، 1435_1436هـ/2014_2015م، ص91

[2] رشيد يماني، تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري، المرجع السابق، ص50.

[3] طيباوي أم هاني، مويسي تركية، تاريخ وباء الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر 749هـ/1348م، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، طاهر بن علي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2019_2020م، ص56.

[4] صديقي محمد، الأمراض والخدمات، المرجع السابق، ص188.

[5] جمال بوطي، وباء الطاعون الأسود وانعكاسات، المرجع السابق، ص224.

2- تراجع الانتاج الزراعي:

بالتزامن مع صعود أجور العمال شهدت أسعار المحاصيل الزراعية تراجعاً ملحوظاً نتيجة انخفاض الطلب عليها إذ أدى تفشي الوباء إلى ارتفاع معدلات الوفيات مما قلل من أعداد المستهلكين، وهو ما تسبب في خسائر مادية جسيمة للنبلاء وملاك الأراضي[1]. تسبب الطاعون الأسود وما تبعه من أوبئة في القرون الوسطى بدمار واسع بالعالم الإسلامي، و أفاد الرحالة باندثار مجتمعات كاملة، وتراجع الاقتصاد ريفياً وحضراً، أدى نزوح المسلمين إلى المدن لارتفاع أجورها إلى تلف المحاصيل لعدم جنيها واضطرت مناطق لاستيراد الغذاء أو الاعتماد على مخازن المدن كما عرقل الوباء النقل وأتلف البنى التحتية مما دفع لتحويل الحقول إلى زراعة محاصيل مقاومة للجفاف[2]، وقد تضرر ملاك الأراضي الزراعية بفناء معظم العمال الزراعين، فتخلى السكان على أراضيهم، فيما استمر فرض الضرائب السنوية على الفلاحين دون أي اعتمادات مما فاقم الأزمة[3].

وبسبب الانهيار الديموغرافي الذي أتى على الأيدي العاملة من جميع الفئات، كالتجار والفلاحين والحرفين، بالإضافة إلى أمراض الماشية التي شلت النشاط الزراعي ضعف الاقتصاد وتسبب في المجاعات[4].

كما تفاقمت أزمة الغذاء بارتفاع سعر القمح والتي قمنا بإشارة إليها سابقاً "والشعير على الشطر في ذلك وكثر الوباء، حتى انتهى عدد الأموات إلى ألف شخص"[5]، إضافة إلى تحول شريحة كبيرة من المهاجرين بسبب الطاعون من ممارسة أعمالهم مجتمعة في تراجع الإنتاج الزراعي بشكل ملحوظ، مما تسبب لاحقاً في انخفاض المعروض من المحاصيل في الأسواق وبالتالي ارتفاع أسعارها[6] "أما من هربوا

---

[1] فاطمة الزهراء حتحات، وباء الطاعون "الموت الأسود"، المرجع السابق، ص92.

[2] جوزيف بيرن، الموت الأسود، المرجع السابق، ص410.

[3] موسى رجب عبد المجيد عبد الحي، "طاعون جستنيان، المرجع السابق، ص161.

[4] مزدور سمية، المجاعات والأوبئة، المرجع السابق، ص224.

[5] أبو عبد الله محمد بي أحمد الشماع، الأدلة البينة النورانية، المصدر السابق، ص124.

[6] أحمد العدوي، الطاعون في العصر الأموي، المرجع السابق، ص124.

فيمكننا القول بأنّ الكثيرين منهم انتهى بهم الحال بالموت في المدن والقرى..."[1]، وعلاوة على ذلك تحول الفلاحون إلى دفع الأموال بدلاً من العمل الجبري عند استئجار أراضي الإقطاعين لكن عندما فرضت سياسيات خفض الأجور أو تقييدها ثاروا رافضين هذه الاجراءات[2]، فأدى اجتياح الطاعون للأراضي الزراعية إلا وقف الحروب وارتفاع تجاري مؤقت تلاه انخفاض حاد في المساحات المزروعة بسبب وفاة العمال، مما تسبب في خسائر فادحة للملاك، واضطر الأخيرون لاستبدال العمل الزراعي بالإيجارات النقدية لتعويض نقص الأيدي العاملة خاصة بعد أن حصد الوباء الشباب والمزارعين فتحت المجال للأيدي القادرة على الحرث والحصاد[3].

ارتبط الغذاء الأساسي لسكان المغرب والأندلس بشكل رئيسي بحبوب القمح والشعير والحنطة، التي مثلت الركيزة الأساسية في نظامهم الغذائي[4]، إذ أدى تفشي الطاعون إلى نزوح سكان الأرياف نحو المدن، ما أجبر مالكي الأراضي على رفع الأجور مقابل أعمال بسيطة فضلاً عن ندرة الموارد الأساسية واندلاع مجاعات تفاقمت بفعل الوباء[5]، أدت هذه الأوضاع إلى تضخم مفرط في الأسعار حيث صعد سعر القمح إلى اثنتي عشر ديناراً وتسببت المجاعات في فقدان أرواح كثيرة من الأندلسيين نحو أراضي المغرب بحثاً عن النجاة[6].

---

[1] روبرت. س، جوتفيرد، الموت الأسود، المرجع السابق، ص107.

[2] عز الدين الدريسي، فتيحة ميمون الطيب، "انتشار الطاعون في أوروبا في العصر الوسيط (1347-1352م)"، مجلة كلية الآداب، العدد51، ديسمبر 2021، ص96.

[3] المرجع نفسه، ص96.

[4] إبراهيم القادري بوتشيش، مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، دت، ص211.

[5] طيباوي أم هاني، مويسى تركية، تاريخ وباء الطاعون، المرجع السابق، ص57.

[6] بلهوشات عايدة، الزراعة في الأندلس 138هـ-546م/755هـ-1151م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، بإشراف، عطابي سناء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، التخصص، التاريخ العام، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، 2013-2014م، ص72.

3_ ركود التجاري:

شهدت سنة 749هـ/1348م انكماشاً في الحركة التجارية بين المناطق الإسلامية والمسيحية بسبب المخاوف الصحية من انتقال الأمراض مما أدى إلى تخضم أسعار السلع الضرورية مثل: الحبوب كالقمح والشعير بشكل غير مسبوق[1]، إذ شكلت الكوارث واسعة النطاق والأمراض المعدية عاملاً رئيسياً في تدهور النشاط التجاري نتيجة شح الموارد وارتفاع معدلات الوفيات بين التجار، ما فتح باباً أمام ممارسات احتكارية وتراكم المخزونات وانعكس ذلك على ارتفاع مهول في الأسعار واختلال في توفير الاحتياجات الغذائية إلى جانب تفاقم أعمال السلب وتعطيل طرق المواصلات وانهيار الاستقرار الأمني، مما دفع السكان إلى الاجتماع وتهجير أماكن العمل وإقفال المنشآت التجارية، وهو ما عمق أزمة التضخم الاقتصادي[2] . وفي خضم تفشي الوباء اضطر السكان إلى البقاء في مناطق غير آمنة، خاصة مع التحذيرات الصادرة عن العملاء لمنع انتقال العدوى عبر التنقلات وقد كان لهذا الوضع تداعيات اقتصادية خطيرة ، فتعد حركة الأفراد بين المناطق حجر الأساسي في ديمومة الأنشطة الإنتاجية التي تعجز عن النجاح دون تدفق السلع وتبادل الخدمات[3]، نتيجة انخفاض وامتناع الناس عن الخروج والسفر وتجنبهم الاختلاط في الأسواق خوفاً من انتقال المرض[4] و أصيبت التجارة مثل: الزراعة والصناعة بشكل كامل[5].

أثر الطاعون بشكل كبير على الاقتصاد، حيث ساهم التبادل التجاري بين الموانئ في تسريع انتشار المرض إذ كان للسفن دوراً كبيراً في نقل مرض الطاعون نتيجة لتواجد القوارض المصابة فيها، فأصبحت

---

[1] طيباوي أم هاني، مويسى تركية: تاريخ وباء الطاعون في الأندلس، المرجع السابق، ص58.

[2] صديقي محمد، الامراض والخدمات، المرجع السابق، ص189.

[3] عثمان سال، طارق زركاغ، "الأوبئة بالغرب الإسلامي بين المعالجة الفقهية والانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية"، الجذام والطاعون نموذجاً، دورية كان التاريخية، السنة السادس عشر العدد الثاني والستون، ديسمبر 2023، ص140.

[4] عبد الهادي بياض، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوك وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس، (ق6_8هـ/12_14م)، دار الطليعة، ط2، بيروت، 2008، ص93.

[5] فاطمة الزهراء حتحات، وباء الطاعون الموت الأسود، المرجع السابق، ص93.

بيئة مثالية لانتقال العدوى، مما أدى إلى توقف الحركة التجارية تقريبا كما شهدت العديد من المناطق خاصة المدن الكبرى مثل مالقة موجات هروب جماعي بسبب تفشي الوباء بشكل كارثي مما دفع العديد من علمائها وقادتها ووجهائها إلى مغادرة المدينة[1]، حيث عانت الحركة التجارية من ركود شديد خلال فترة تفشي الطاعون حيث منع سكان المناطق غير المصابة دخول القادمين من المناطق الموبوءة خوفاً من انتقال العدوى كما كان من المعتاد عند ظهور وباء أن يفر الأصحاء سواء بشكل فردي أو جماعي من المناطق المصابة هرباً من المرض، مما أدى إلى اختلال التوازن الديموغرافي وأثر سلباً على إنتاجية القطاعات الاقتصادية[2].

شهدت الأنشطة الحرفية تراجعاً كبيراً بسبب الخسائر الديموغرافية التي أثرت على الفئات العاملة بما في ذلك الحرفيين والصناع حيث فقدت المدن عدداً كبيراً منهم على سبيل المثال: مدينة فاس في عهد السلطان الموحدي وابنه محمد الناصر تضم حوالي 472 طاحونة مائية و649 فندقاً و9280 دكاناً و47 مصنعاً للصابون و1170 فرناً للخبز و400ورشة لصناعة الورق و880 مشغلاً للفخار خارج المدينة[3]. مما يعكس ازدهاراً اصطناعياً وتجارياً سابقاً[4].

أدى تفشي الطاعون إلى نقص حاد في الموارد المالية والسكان فانخفضت الإيرادات الضريبية وارتفعت الأسعار والأجور بشكل كبير، واشتغل العمال في الصناعة والزراعة نقص اليد العاملة الناتج عن الوفيات، لرفع أجورهم بشكل دائم مما زاد من حدة التضخم[5]، و انتشار الوباء إلى حصد أرواح أعداد

[1] خديجة خيري عبد الكريم خيري، "الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة الطاعون الجارف نموذجاً" ، مجلة العلوم الإنسانية والحضارة، المجلد03، العدد02، 2021، ص132.

[2] الحسين بولقطيب، جوارح وأوبئة المغرب عهد الموحدين، المرجع السابق، ص51-52.

[3] بقرار منير، أثر الطاعون الأسود على الوضع الديموغرافي، المرجع السابق، ص33.

[4] حسن بلعيد، "النشاط التجاري في الأندلس خلال القرنيين العاشر والحادي عشر الميلادي" ، مجلة المعيار، م المجلد27، عدد4(د.ت 73)، 2023، ص862.

[5] موسى رجب عبد المجيد عبد الحي، طاعون جستنيان، المرجع السابق، صص 158-159.

أعداد هائلة في المراكز الحضرية الكبرى المطلة على المحاور التجارية مما تسبب في جمود كلي في النشاط التجاري[1].

مثلت الأوبئة محركاً رئيسياً للنزوح الجماعي في تاريخ المغرب والأندلس حيث تولت الهجرة إلى استراتيجية عزيزية لمواجهة شبح الموت البطيء الذي فرضته الأزمات لصحية، نفى محاولة يائسة للنجاة. لجأ الأفراد إلى الفرار الفوضوي أو الانتقال المنظم نحو مناطق يعتقد أنها بمنأى عن العدوى غير أنَّ هذه الحركة البشرية حملت في طياتها مفارقة مأساوية، فتحول النازحون أنفسهم إلى ناقلي الوباء مما أدى إلى تفشي الكارثة في المناطق الجديدة ليحاصر الفارون من الموت بسلسلة لا تنتهي من الكوارث.

بينما حاولوا الهروب من الجوع والمرض ورثوا محنتهم إلى أماكن اللجوء لتصبح الهجرة حلقة مفرغة من المعاناة تذكر بأن الخلاص الفردي قد يفاقم الكارثة الجماعية[2]، حيث اتجه سكان الريف إلى النزوح نحو المناطق التي لم يطالها الوباء، حتى لو طلب ذلك الانتقال إلى أماكن نائية مما أدى إلى تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية نتيجة إهمال الأراضي الزراعية والتخلي عن الممتلكات ، وعانت العديد من الأسر من الفقر المدقع بسبب هذه الهجرة القسرية[3].

مع تفشي الطاعون في بلاد الأندلس وازدياد عدد الوفيات في كل يوم ، اضطر الناس إلى دفن ضحايا الطاعون في القبر الواحد، رغم أن ذلك منافي لما تقتضي به الشريعة الإسلامية ، إلا أن الضرورات تبيح المحظورات في مثل هذه الظروف الاستثنائية ، ولقد وثقت لنا المصادر التاريخية حالات الدفن الجماعي إذ يقول ابن أبي زرع في هذا الصدد"فكان يدفن في القبر الواحد أعدادا من الناس..."[4].

[1] بلجة عبد القادر، مملكة غرناطة النصرية في مواجهة الطاعون، المرجع السابق، ص162.

[2] عبد الهادي بياض، الكوارث الطبيعية، المصدر السابق، ص129.

[3] الكاملة فرحات، وباء الطاعون وتأثيره على البينة الاجتماعية، المرجع السابق، ص1517.

[4] ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص96

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية:

1- تفكك الأسر:

الوباء الفتاك أزهق الأرواح بأعداد هائلة، محدثًا تغيرات سكانية مدمرة. امتدت تداعياتها خارج الإطار العائلي، والجماعات الصغيرة، لتشمل نسيج المجتمع بأكمله[1].

ساهم تفشي الأوبئة والأمراض المعدية في إضعاف الروابط الزوجية الاستثنائية المرتبطة بالجائحة إلى تفاقم التحديات الاجتماعية والنفسية، ففي خضم انتشار الوباء، أصبحت الحياة المشتركة بين الأزواج تعاني من ضغوط غير مسبوقة. تاركا خلفه تداعيات عميقة تمثلت في ارتفاع معدلات الطلاق والانفصال، وذلك نتيجة العجز عن مواجهة التحديات اليومية القاسية التي فرضها التعايش مع المرض، مما حول الأسر إلى ساحات صراع بدلًا من كونها ساحات للأمان[2].

كما تشير الدراسات التاريخية إلى أنّ الأمراض المزمنة شكلت عاملاً رئيسياً في تفكك الروابط الزوجية حين يؤدي تشخيص أحد الشريكين بعلة طويلة الأمد إلى إشارة التحديات النفسية والاجتماعية تدفع الطرف الآخر إلى طلب الانفصال ، وفي هذا السياق تبرز وثائق الفقه الإسلامي كما أشارت الباحثة مزدور سمية في تحليلها قضية استشارية وردت إلى الفقيه أبي الفضل العقباني، تتعلق برجل أصيب بمرض الجذام بعد سنوات من زواجه، مما دفع المشرعين إلى بحث مدى شرعية طلب الزوجة للفراق، وقد استند الفقهاء في حكمهم إلى طبيعة المرض ومن تأثيره عن الحياة الزوجية، فإذا كان الجذام متفشياً ومصحوباً بروائح كريهة تعيق التعايش، جاز التفريق بين الزوجين أما في الحالات غير المؤثرة فقد رفضوا إجازة الانفصال مؤكدين على ضرورة التوازن بين الحقوق الزوجية واعتبارات الصحة العامة[3].

إضافة إلى هذا أدى تفشي الوباء إلى زعزعة البنى الاجتماعية وتفكيك الروابط الأسرية حيث فرض المستوى من انتقال العدوى عزلة قسرية بين الأفراد حتى حذر التباعد انعكاساً لواقع مرير من انعدام

---

[1] أحمد العدوي، الطاعون في العصر الأموي، المرجع السابق، ص97.

[2] عثمان سال، طارق زركاغ، الأوبئة بالغرب الإسلامي بين المعالجة الفقهية، المرجع السابق، ص141.

[3] مزدور سيمة، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص224-225.

التضامن، ففي ظل الأزمة تخلى كثيرون من تقديم الدعم للعائلات المنكوبة بل وصل الأمر إلى هجر المصابين بالطاعون في منازلهم وإقصائهم إلى أماكن مهملة ليواجهوا مصيرهم المروع بمفردهم.

بينما اكتفت الأسر السليمة بالمراقبة من بعيد، عاجزة عن تغيير حتمية الموت التي طغت على المشهد[1]، إذ تسبب وباء الطاعون في انهيار التركيبة السكانية ليس فقط عبر تقليص النحو الديموغرافي بل أيضا بإحداث سرغ عميق في النظم الاجتماعية فقد أدى اختفاء عائلات بكاملها إلى زوال تقاليد راسخة .

بينما فرضت الظروف الوبائية تحولات قسرية في أعمال العيش اليومي لدى بعض المجتمعات القبلية، حيث تآكلت القوانين العرفية تحت وطأة الأزمة لتحل محلها اشكال جديدة من التنظيم الاجتماعي [2].

2-الهجرة:

انتشار ظاهرة الهجرة والتي تعد استجابة إنسانية تاريخية للبحث عن مواطن آمنة ضمن استمرارية الحياة، وقد ارتبطت هذه الظاهرة بالوجود البشري منذ القدم ففي سياق المغرب الكبير مثلت الأمراض والأوبئة أحد أبرز محركات الهجرة الجماعية.

شكلت محاولة لتفادي مخاطر العدوى والنجاة من تأثيراتها المدمرة، تظهر السجلات التاريخية كوباء عام 635 هـ/ 1255 م، كيف أجبرت الأزمات الصحية المجتمعات على النزوح من مراكزها الحضرية ، كما حدث في الأندلس والمغرب ، حيث هاجر السكان مناطقهم تاركين وراءهم مظاهر الحضارة تحت وطأة الخوف من تفشي الوباء.

ولا تقتصر دوافع الهجرة على الأوبئة فحسب بل تتبع لتشمل الهروب من المناطق الموبوءة أو تلك التي تشبه بكونها بؤراً لنقل الأمراض خاصة في فترات تفاقم الضغوط البيئية والصحية التي تحول الهجرة إلى ملاذ أخير للبقاء على قيد الحياة[1].

[1] خديجة خيري عبد الكريم خيري: الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص98.

[2] الكاملة فرحات، "وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد06، العدد02، أكتوبر 2022، ص1517.

يشهد المجتمع الإسلامي نزوحاً واسعاً من المناطق الريفية نحو الحواضر، حيث يفضل عدد كبير من الأفراد الاستقرار في المدن بحثاً عن فرص أفضل مما أدى إلى إهمال الأراضي الزراعية وترك المحاصيل دون حصاده بسبب نقص الأيدي العاملة[2]، شهدت تلك الفترة أزمات مزدوجة تمثلت في ارتفاع هائل في الأسعار وانتشار وبائي كارثي، حيث يذكر ابن أبي زرع أن "هرب فيها أكثر أهل البلاد"[3]، مما يعكس حجم الكارثة التي عصفت بالمجتمع.

3- مثلث الفقر والتسول واللصوصية:

تحدث الأزمات الصحية المفاجئة تأثيرات عميقة على النسيج الاجتماعي، حيث تدفع الأفراد إلى تبني سلوكيات متطرفة تتراوح بين التكيف مع الواقع الجديد ورفضه، وذلك نتيجة ضخامة الكارثة التي تفقد وجودهم ذاته، ففي ظل انتشار الأوبئة تسُول الحياة إلى معادلة صعبة تجبر الناس على خوض غمار خيارات قاسية لضمان بقائهم حتى لو كانت مؤقتة، وقد مثلت الكوارث المتتالية كالمجاعات والانهيارات الاقتصادية والأمراض محفزاً بظهور مبادرات إغاثية تعني لإنقاذ المنكوبين في وقت باتت فيه ملامح الفقر واضحة على مجتمعات أنهكها تواتر المحن[4].

تشكل العلاقة الجدلية بين الفقر وانتشار الأمراض المعدية واحدة من أكثر الكوارث الإنسانية إيلاما، إذ تظل هذه المعضلة قائمة رغم التطور العلمي، فالكائنات الدقيقة كالفيروسات والبكتيريا تغذي حلقة مفرغة من المعاناة، خاصة مع تفاقم الأزمات الاقتصادية وانعدام الآمن الغذائي.

---

[1] صديقي محمد، الامراض والخدمات، المرجع السابق، ص165-166.

[2] جوزيف بيرن، الموت الأسود، المرجع السابق، ص410.

[3] ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، المصدر، ص255.

[4] صديقي محمد، "أثر الأمراض والأوبئة في ذهنيات وسلوك إنسان العصر الوسيطق6-7هـ/12-13م"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ص06.

تحول الأوبئة المجاعات إلى ساحات خصبة لتفشي العدوى لتبقى هذه الحلقة المرة شاهدا على هشاشة الإنسان أمام تحديات تعيق مسير التقدم البشري[1]، إذ لا تقتصر تداعيات الأوبئة وخاصة الطاعون عن الجانب الصحي فحسب غالباً ما تترافق مع كوارث بيئية كالجفاف.

تندثر المواد الأساسية من الأسواق وتتحول المجتمعات إلى ساحات للمعاناة بين الموت جوعاً وانتشار العدوى.

هذه تركيبة الكارثية تنتج واقعاً معيشيا تتفاقم فيه أزمات الأسعار وتنهار معه القدرة على توفير أبسط الاحتياجات، خاصة مع تراجع الإنتاج الزراعي الذي يعد حجر الزاوية في استقرار الصحة العامة والاقتصاد معا لتضع الحياة سلسلة من تحديات التي تتجاوز طاقة البشر على الاحتمال[2].

إلى جانب تفاقم ظاهرة التسول كناتج طبيعي للأزمات الاجتماعية والاقتصادية مارس بعض متسولي الأندلس أساليب إبداعية لاستبداد التعاطف، مثل التجول في الأماكن العامة وإنشاء مقاطع من الأغاني الشعبية أو الشعر العامي سعيا لكسب عطف المارة وتخفيف وطأة الفقر عبر تحويل الشوارع إلى مسرح مؤقت للتعبير عن المأساة الإنسانية[3].

"ذلك يتفقدون الذين يتخبطون في الأسواق ويوهمون الناس أنه صرع ، وكذلك أصحاب الأورام والقروح البشعة ومن يتعلق مصرانه أن من جنب والذي يصبح بوجع الحصا والذي يظهر أنه مقعد والذي يقرحون أيديهم ويهمون الناس أن ذلك كله بلا"[4]، إذ يمثل تسول ظاهرة عابرة للحدود الجغرافية والثقافية تختلف ملامحها باختلاف السياقات المجتمعية غالبا تشكلها استدامتها تتفاوت حسب البنى الاقتصادية والسياسية السائدة. وتعد هذه الآفة الاجتماعية من أقدم تحديات التي واجهت المجتمعات البشرية منذ

---

[1] مليكة عدالة، "ظاهرة الفقر بالأندلس في العصر الموحدين" ، مجلة العصور، العدد24-25، جانفي، جوان 2015 ص135.

[2] الكاملة فرحات، وباء الطاعون وتأثيره على البينة الاجتماعية، المرجع السابق، ص1516.

[3] إبراهيم القادري بوتشيش، ظاهرة التسول في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، كلية الآداب، مكناس، ص ص 18-120.

[4] ليفي بروفنسال، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسبة، القاهرة، مطبعة المعهد العلي الفرنسي، د ط، 1955، ص113.

نشأتها حيث توصف بأنها مظهر موكب يعكس تشبك العوامل الاجتماعية والاقتصادية مع الأبعاد الأمنية والثقافية بهدف استدرار العطف المادي أو المعنوي عبر وسائل قد تتراوح بين البساطة والتلاعب النفسي، مما يجعلها قبضة عالمية تستدعي مقاربات متعددة المستويات لفك تشابكاتها الجذرية[1]، اذ يعاني المتسولون خلال فترات المجاعة من ظروف بالغة القسوة نتيجة شح الموارد الغذائية حيث يتحول البحث عن لقمة تدرأ خطر الموت جوعاً إلى معركة يومية شبه مستحيلة ، هذا الوضع يجعلهم من الفئة الأكثر هشاشة وتضرراً في خضم الأزمات، إذ تتفاقم معاناتهم مع تنامي التحديات التي تهدد بقائهم الأساسي[2]، رغم الكارثة الإنسانية التي خلفها الوباء لم تخل فترة من استغلال البشع لفراغ السلطة، حيث استغل بعض الأفراد وانشغال المجتمع بمواجهة الموت لنهب الممتلكات المهملة سواء تلك التي خلت من أصحابها بسبب الوباء أو التي تركت دون حماية.

نتيجة عجز الأسر المنكوبة في مشهد يعكس تنامي الإنسانية وسط ركام المأساة[3]، إذ تزداد ممارسة النهب والسرقة خلال فترات المجاعة بشكل لافت، حيث يلجأ بعض الأفراد إلى اعتماد السرقة كمهنة للبقاء فيتعرضون طرق القوافل التجارية والمسافرين لسلب مؤنهم ورغم الإجراءات الأمنية المشددة تتصاعد أنشطة هذه المجاعات في ظل الأزمات إذ يفاقم انهيار الأمن وانتشار النزاعات من مخاطر التنقل ليصبح الطريق نفسه ساحة الصراع بين البقاء والضياع[4].

إضافة إلى الوفيات فعل الرغم من حيادية الموت في مسار الأغنياء والفقراء أم قدرة المحتوم إلا أن الفجوة الاقتصادية تحدث فارقا جوهرياً في معدلات الوفيات، فظروف العيش القاسية التي يعانيها الفقراء كسوء التغذية وضعف الإمكانيات المادية وانعدام القدرة على الوصول إلى الرعاية الصحية ترفع من

[1] أبو تراب تغريد قاسم محمد، "الآثار الاقتصادية لظاهرة التسول في العراق وطرق معالجتها"، مجلة دراسات في الاقتصاد ووزارة الأعمال، المجلد04، العدد02، ديسمبر2021 ، ص ص483-484.

[2] مزدور سيمة، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص217.

[3] موسى رجب عبد المجيد عبد الحي، طاعون جنستيان، المرجع السابق، ص164-165.

[4] مزدور سيمة، المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط، المرجع السابق، ص218.

حالات الوفاة المبكرة محولة المساواة النظرية أمام الموت إلى تفاوت علمي تحدده عشرة الواقع الاجتماعي[1].

شهدت مدينه مراكش تفشى أعدادا هائلة من سكان مخلفاً وراءه آثار ديموغرافية واجتماعية عصفت باستقرار المجتمع لفترات طويلة[2].

كذلك نفسية ساكنة المدينة إذ يعتبر التشاؤم والحزن والخوف مما يترتب عليه العديد من الصفات القبيحة بالمدينة كالاعتداء على ممتلكات الغير لضمان استمرارية حياته وكتفشي ظاهرة التسول[3]، إذ يقول ابن عذارى هنا "وإذا ظهر في السوق بعد أيام كثيرة شيء من خبز الشعير يحشر الناس عليه وإنهم لقيام ينظرون وما يصل إليه إلا الكفاة الذين لهم تجلد على الاقتحام والصبر ثم لا يعدم الذي يتوصل إليه أن يجتمع عليه العشرون وأكثر من الضعفاء والمساكين حتى ينزعوه منه قهراً"[4]، وكانتشار ظاهرة الخضوع والخنوع والاكتفاء والتبرك بالأولياء ، وفي أقصى المواقف التي تفضح عن تمرد الإنسان ضد هذا الوضع تنتشر ظاهره الهروب والفرار[5].

[1] بن عسلون زهرة، بلهزيلجيهاد، المرض والوباء، المرجع السابق، ص218.

[2] محمد المغراوي، الموحدون وأزمات المجتمع، جذور للنشر، ط1، 2006، ص161.

[3] كريمي ماجدة، قراءة المدينة الموحديةوالمرينية من خلال أزمة المجاعات والأوبئة الأيام الوطنية العاشرة (المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الجديدة)، دار المنظومة، المغرب، 2002، ص116.

[4] ابن عذارى المراكشي، بيان المغرب في أخبار الأندلس، قسم الموحدين، المصدر السابق، ص325.

[5] كريمي ماجدة، قراءة المدينة الموحدية، المرجع السابق، ص116.

المبحث الثالث: الآثار الثقافية:

1- موت الفقهاء والعلماء وتراجع المؤسسات التعليمية:

كان لوباء الطاعون (الطاعون الجارف)تأثير مدمر على الحياة العلمية في بلاد المغرب حيث تسبب في شلل حركة التعليم والمعرفة ، نتيجة فقدان العديد من العلماء الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للعلم[1] اذ شهد القطاع الفكري تراجعاً ملحوظاً بسبب الأوبئة والمجاعات التي أودت بحياة عدد كبير من العلماء والمفكرين مما أخل بالتوازن المعرفي في المجتمع[2].

لم يسلم العلماء والمفكرون من ويلات الوباء بل كانوا من بين أكثر الفئات تضرراً مما أدى إلى انقطاع سلسلة نقل العلوم إلى طلاب المعرفة في مختلف التخصصات كالفقه والطب والآدب[3].

سنه 750 هـ/1349م وقع وباء عام انتشر في الأرض وقد أودى بحياة عدد كبير من الفقهاء ومن بين من توفوا في تونس خلال هذه السنه الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الهواري شارح "مختصر ابن حاجب" في الفقه ، وكذلك المفتي أبو عبد الله محمد بن هارون شارح "مختصريه"[4].

إذ شكلت هاجساً مروعاً للمجتمع المغربي حيث أدت إلى اختلال التركيبة السكانية بسبب ارتفاع معدلات الوفيات لاسيما بين النخب الفكرية[5]، ومن بينهم أيضاً محمد بن عبد الله الندرومي فقيه وقاضي فاس الذي تولى القضاء لأبي الحسن المريني وقضى بتلمسان وتوفي بالطاعون سنة 749 هـ في تونس ودفن بزلاج ، كذلك محمد بن يحيى التلمساني الذي توفي في نفس الوباء عام 749 هـ[6].

---

[1] الكاملة فرحات، وباء الطاعون وتأثيره، المرجع السابق، ص1518.

[2] كريمي ماجدة، قراءة المدينة الموحدية والمرينية، المرجع السابق، ص116.

[3] صديقي محمد، الأمراض والخدمات، المرجع السابق، ص191.

[4] أبو العباس بن أحمد بن القنفد القسنطيني، الوفيات، تح، عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، ط4، بيروت، 1983، ص ص354-355.

[5] صديقي محمد، الأمراض والخدمات، المرجع السابق، ص191.

[6] أحمد ابن القاضي المكناسي، جذوة الاقتباس في ذكر من حلا من الأعلام مدينة فاس، دار المتصور للطباعة والوراقة، د ط، الرباط، 1973، ص301-302.

يقول ابن خلدون في هذا الصدد "كان الطاعون الجارف فذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة كما هلك أبواي رحمهما الله"[1].

تسببت هذه الجائحة في خسائر بشرية فادحة حيث عرفت الأوبئة بكونها لا تميز بين طبقات الاجتماعية أو الاقتصادية، بخلاف الحروب والنزاعات التي يرتبط فيها العنف والنهب بظاهرة الجوع، للوباء تأثير مدمر على الجانب الثقافي، حيث انتشرت الأمية بشكل واسع وازداد الاعتقاد بالخرافات بسبب الخوف من المرض مما أدى إلى انقطاع الكثير عن طلب العلم وتجنب التواصل الاجتماعي[2].

وترك تأثيراً في ميدان الفقه والدين حيث اختلف العلماء في كيفية التصرف في أموال المتوفيين بسبب الطاعون "وطرح السؤال حول كيفية التصرف في أموال أهل البلاد الموبوءة"[3].

بإضافة إلى عدم توفر إحصاءات دقيقه بسبب حجم كارثة " يقول ابن أبي دينار، فإن عدد الموتى بلغ 14ألف كل يوم، حتى وقع إحصاء نحو 400ألف"[4]، وانقطاع بعض الأنساب وهلاك الجماعي للأسر والعائلات بأكملها "هجرة بعض القبائل العربية الأخرى من إفريقية إلى الأندلس طمعاً في الأموال، لكن لم ينج منهم إلا القليل، ومات أكثرهم وباء"[5].

[1] ابن خلدون، المقدمة، ج7، المصدر السابق، ص532.

[2] مصطفى صمراني، نور دين غرداوي، "الوباء من خلال النوازل الفقهية والكتابات المتبقية في المغرب الأوسط ق07-08هـ/14-15م"، مجلة البحوث والدراسات العلمية، المجلد 18، العدد01، 2024، ص13.

[3] محمد حسن، مقدمة المحقق، ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق، ص45.

[4] المصدر نفسه، ص44.

[5] نفسه، ص44.

2_ علماء من ضحايا الطاعون بالأندلس من خلال كتاب مقنعة السائل تحقيق حياة قارة:

الرقم	اسم العالم	التخصص	مكان الوفاة	تاريخ الوفاة	الصفحة
01	أبو جعفر أحمد الأموي	أدب/ وعظ	مالقة	5 صفر 750هـ	86
02	محمد بن أحمد عياض	فقه (حفيد قاضي)	بلش	750هـ	86
03	أبو بكر محمد بن عبيد الله القيسي المالقي	غير محدد	مالقة	منتصف صفر 750هـ	86
04	أبو بكر عبد الرحمان بن عبد الملك الينشي	غير محدد	غرناطة	750هـ	87
05	محمد بن أحمد الأنصاري	غير محدد	سبة	جمادى الآخرة 750هـ	87
06	أبو محمد بن عبد الله بن إبراهيم الأزدي (ابن المرابع)	غير محدد	يلش	أواخر 750هـ	87
07	أبو عبد الله محمد بن أحمد الأميي (القطان)	وعظ/ خطابة	مالقة	4 صفر 750هـ	87
08	أبو عبد الله بن أحمد بن جعفر السلمي	خطيب	فنجة	20 شعبان 750هـ	88
09	أبو القاسم الأنصاري (الهنا)	غير محدد	غير محدد	7 شوال 750هـ	88
10	قاسم بن أحمد بن محمد الحضرمي	غير محدد	سبة	أيام الطاعون	88
11	أبو القاسم قاسم الفهري (الورشدي)	غير محدد	ألمرية	25 ذو القعدة 749هـ	88
12	أبو القاسم قاسم يحي الزروالي (ابن درهم)	زهد/ تصوف	مالقة	5 صفر 750هـ	89
13	أبو الحسن علي بن يحي الفزاري	غير	مالقة	750هـ	89

	(ابن البربري)	محدد			
14	أبو الحسن بن البنا	غير محدد	وادي آس	4 شعبان 750هـ	89
15	أبو أحمد بن عبد المهيمن الحضرمي	سياسة/ أدب	تونس	10 شوال 749هـ	89
16	محمد بن أحمد بن عبد العطار	غير محدد	ألمرية	750هـ	90
17	أبو عبد الله محمد بن السكوني (ابن اللؤلؤة)	خطيب	قمارش	750هـ	90
18	أبو عبد الله محمد الصريحي (ابن أبي الجيش)	غير محدد	مالقة	ربيع الآخر 750هـ	90
19	أبو قاسم بن خاتمة الأنصاري	غير محدد	ألمرية	5 ربيع الأول 750هـ	90
20	أبو القاسم اللخمي	غير محدد	غرناطة	17 ربيع الأول 750هـ	91
21	أبو عبد الله المنستيري	غير محدد	غير محدد	قبل 750هـ	91
22	أبو عبد الله التلمساني	غير محدد	تونس	749هـ	91
23	أبو بكر بن عبد الرحمان بن خلدون	غير محدد (عائلة علمية)	غير محدد	749هـ	91
24	أبو جعفر الجذامي	غير محدد	ألمرية	749هـ	91
25	أبو عبد الله محمد بن يحي الأنصاري (الشداد)	غير محدد	ألمرية	رجب 750هـ	92

26	أبو عبد الله القيسي (ابن جابر)	غير محدد	تونس	آخر 749هـ	92
27	سعد بن يوسف الرعيني	غير محدد	ألمرية	آخر 749هـ	92
28	أبو عثمان التيجيبي	غير محدد	ألمرية	14جمادى الآخرة 750هـ	92
29	أبو زكريا القيسي (ابن زرقالة)	غير محدد	ألمرية	3 محرم 750هـ	92

ومن خلال الجدول يتضح لنا أنّ أكثر المدن تضرراً بالطاعون هي:

. مالقة: حيث سجلت أعلى عدد من الوفيات بين العلماء (06 حالات)، معظمها في صفر 750 هـ مما يشير إلى تفشي حاد فيها.

. أما ألمرية: تأتي في المرتبة الثانية(06 حالات أيضاً)، لكن الوفيات امتدت ما بين 749- 750 هـ، مما قد يدل على استمرار الوباء لفتره أطول.

. أما تونس: ورد (03 حالات)، منها وفاة عبد المهيمن الحضري الحضرمي الذي كان له دور سياسي بارز.

. وفي غرناطة: ذكرت حالتان، هو مركز سياسي وعلمي مهم مما قد يعكس نقصاً في التسجيل أو انخفاضاً نسبياً في الإصابات.

. ملاحظات زمنية:

- تركزت الوفيات في عامي 749- 750 هـ مع وجود ذروة في صفر 750 هـ خاصة في مالقة.

- بعض المدن مثل بلش ويلش ووادي آش سجلت حالات فردية، مما قد يشير إلى انتشار الوباء في مناطق ريفية أيضاً.

. التخصصات:

- غلب على المتوفين عدم وضوح التخصص الدقيق، لكن بعضهم كانوا خطباء أو وعاظاً(مثل القطان وابن جعفر)، مما قد يرجع إلى طبيعة المصادر التي ركزت على النخب الدينية والأدبية.
- حضور أسماء من عائلات علميه مثل ابن خلدون يؤكد تأثير طاعون على النخب المثقفة.

وعليه فطاعون 749- 750 هـ كان كارثيا في جنوب الأندلس مالقة والمرية خصوصا مع امتداده إلى شمال إفريقية (تونس)، تفشى الوباء في فترات متقاربة يشير إلى موجات متعددة واستمرار العدوى.

3_ظهور المؤلفات والأدبيات حول الطاعون:

شكلت الأوبئة التاريخية التي انتشرت عبر مناطق العالم المختلفة تحولاً جذرياً في الهياكل الديموغرافية والاقتصادية والاجتماعية، مع تأثير واضح في الجانب الفكري، يتجلى هذا التأثير في الكم الكبير من المؤلفات والدراسات التي أنتجها المفكرون المعاصرون لتلك الأحداث في الشرق الإسلامي والغرب المسيحي وقد أولى الباحثون الأوروبيون اهتماما خاصا بدراسة تراثهم في هذا المجال من خلال أعمال النشر والتحليل كما اهتموا بدراسة وترجمة ما كتبه المؤلفون العرب والمشارقة والأندلسيون عن الأوبئة والتي تعود في غالبيتها إلى الفترة الوسيطية[1].

شهد القرن الثامن الهجري تأليف العديد من الكتب والرسائل التي تناولت سبل مواجهة الطاعون حيث استند العلماء والأطباء في الأندلس خاصة بغرناطة إلى الأحاديث النبوية وسيرة الرسول (ص) فيوضع

[1] محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب، المرجع السابق، ص387.

تدابير وقائية لمواجهة ما عرف بـ "الطاعون الجارف"، وقد اهتمت النخب العلمية بتأليف أعمال توعوية توجيهية للعامة، ما بين مؤلفات مطولة ورسائل مختصرة[1].

_المؤلفات في الوباء والطاعون:

1. مقالة في: "إذ نزل الوباء بأرض قوم" لمؤلفه أبي عبد الله محمد بن يوسف بن عمر بن عمران المزدني الفارسي المتوفي سنة 655 هـ[2].
2. "كتاب في الطاعون": لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان المالقي المتوفى سنة 763 هـ[3].
3. رسالة: "مقنعة السائل عن المرض الهائل" لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب سلماني الغرناطي كان حياً سنه 769 هـ، ويحتمل أنها الرسالة التي أشار إليها في كتاب "الإحاطة" بعنوان "رسالة الطاعون"، حيث وصف فيها ظهور الوباء وطريقة انتشاره والأعراض الأولى لهذا المرض، بالإضافة الى سبل الوقاية منه[4].
4. مقامة "في الطاعون العام في الشعر والأدب" لمؤلفه: عمر بن مظفر بن عمر ابن الوردي[5].
5. "رسالة في الطاعون وجواز الفرار منه" لمؤلفه: مولى إدريسي البدليسي المتوفى سنة 927هـ[6].
6. "البشارة الهنية بأن الطاعون لا يدخل مكة والمدينة" لمؤلفه: شمس الدين محمد بن محمد الخطاب الراعيني المالكي المتوفى سنة أربع وخمسين وتسعمائة[1].

---

[1] رشيد يماني، "مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منصف القرن الثامن الهجري"، دورية كان التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد الثالث والأربعون، مارس، 2019، ص119-120.

[2] ابن الخطيب الغرناطي، مقنعة سائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص17.

[3] المصدر نفسه، ص17

[4] رشيد يماني، مواقف أطباء مملكة غرناطة، المرجع السابق، ص120.

[5] فوائد بن أحمد عطاء الله، فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون، المرجع السابق، ص553.

[6] مصطفى بن عبد الله حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، عني بتصحيحه وطبعه، محمد شرف الدين، دار ايحاء التراث العربي، المجلد الأول، بيروت لبنان، د ت، ص276.

7. "رسالة في الطواعين" لمؤلفه: أبي القاسم الغول الفشتالي[2].
8. "تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد" لأبي جعفر أحمد بن أبي الحسن علي بن محمد بن علي بن خاتمة الأنصاري من أهل المرية المتوفي سنة 770هـ[3].
9. "تحقيق النبأ عن أمر الوباء" لأبي عبد الله محمد بن علي بن عبد الله اللخمي الشقوري كان حيا سنه 776هـ وذكرها في كتابه "تقييد النصيحة"[4].

وقد تنوعت هذه المؤلفات من حيث التخصص، فشملت كتب الحديث والفقه والأحكام الشرعية إلى جانب المؤلفات الطبية والصيدلانية المتعلقة بالعلاجات والأدوية وفضلا عن الأعمال الأدبية التي ضمت الشعر والمقامات، كما تنوعت مناطق مؤلفيها فكان منهم علماء من المغرب ومصر والشام والحجاز وغيرها من الأقاليم[5].

فرغم تعدد المؤلفات التي تناولت موضوع الطاعون والتي تجاوزت السبعين كتاباً إلا أننا أشرنا إلى بعضها فقط.

4_الاندثار العمراني والتراجع الحضري:

يعد العمران مظهراً من مظاهر التقدم الدول وتحضرها، حيث يشكل العمران المتطور مؤشراً على قوة الدولة وازدهارها في حين يعكس تدهوره بداية مراحل الضعف والانحدار[6].

وتؤثر العوامل الجغرافية تأثيراً كبيراً في توجيه البنية العمرانية للمدن الإسلامية ويبرز الموقع المرتفع كأفضل خيارات للسكن لتحصين السكان من الأوبئة بفضل جودة الهواء كما يعد توفر المصادر المائية

---

[1] إسماعيل باشا البغدادي، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المضيفين، د ح، مكتبة الإسلامية الجعفري التبريزي، المجلد الثاني، ط3، دمن، 1947م، ص242.

[2] عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، الجزء الأول، دم، د ت، ص255.

[3] ابن الخطيب، مقنعة السائل عن المرض الهائل، المصدر السابق، ص18.

[4] المصدر نفسه، ص21.

[5] فؤاد بن أحمد عطاء الله، فهرس المؤلفات في الوباء والطاعون، المرجع السابق، ص259-260.

[6] صديقي محمد، الأمراض والخدمات، المرجع السابق، ص192.

عاملا رئيسيا في تحديد موقع المدينة المناسب، مما يضمن تلبية احتياجاتها الحيوية التي تشكل أساساً متيناً في تشييد الحضارات[1]وبالرغم أن حكم المرابطين امتد ليشمل الأندلس إلا أنهم لم يستغنوا عن مهارات أهلها الصناعية فقد بدأ يوسف بن تاشفين حملاته العمرانية وتوسيعية اعتمد بشكل كبير على حرفي الأندلس المتميز واستمر هذا النهج في العهد الموحدين حيث تم جلب امهر الصناع إلى المدن المغربية الكبرى، ولا سيما العاصمة لتعزيز التطور الحضاري[2].

إذ يشكل التكدس السكاني والكثافة الديموغرافية عاملاً محورياً في تفشي الأوبئة وهو تسارع انتشارها لاسيما في المراكز الحضارية الكبرى التي تتحمل عبىء الأكبر من هذه الأزمات الصحية، وفي هذا السياق التاريخي، تبرز مدن مثل فاس ومراكش وسبة كنماذج بارزة حيث مثلت بحكم أدوارها السياسية والاقتصادية والفكرية المتميزة خلال العصر الوسيط نقاطاً ساخنة لانتشار الأوبئة بسبب تركز السكان وحركه القوافل التجارية فيها[3].

إذ يقول ابن خلدون في هذا السياق حول الطاعون "تحيف الأمم وذهب بأهل الجيل وطوى كثيراً من محاسن العمران ومحاها..."[4]، ويقول أيضاً" وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر فخربت الأمصار والمصانع ودرست السبل والمعالم وخلت الديار والمنازل وضعفت الدول والقبايل..."[5].

5_الطاعون والموافق الفقهية:

خلال أزمات الطاعون في القرنين 8و9هـ(14و15م)، ظهرت بعض الممارسات الدينية مثل الدعاء الجماعي وصلاة رفع الطاعون في أماكن عامة.

---

[1]بوقاعة البشير، "التأثير الحضاري الأندلسي على فن العمارة الإسلامية بالجزائر" "الحدائق والمنتزهات انموذجا"، دراسات التراثية، المجلد07، العدد 01، ص191.

[2]حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، كلية دار العلوم، ط1، مصر، القاهرة، 1980، ص261.

[3]كريمي ماجدة، قراءة المدينة الموحدية والمرينية، المرجع السابق، ص115.

[4]ابن خلدون، مقدمة، ج1، المصدر السابق، ص51.

[5]المصدر نفسه، ص52.

الممارسات هذه أثارت جدلاً كبيراً بين الفقهاء ،لأن بعضها لم يكن له أصل واضح في التراث الإسلامي القديم ، واعتبر كثير من العلماء أن هذه الصلوات بدعة، خاصة بعد أن لاحظوا أن التجمعات الكبيرة ساهمت في نشر المرض وزيادة عدد الوفيات. كما أن تخصيص أوقات أو صيغ معينة للدعاء الجماعي رفض من بعض الفقهاء، لأنه لا يعتمد على نصوص شرعية واضحة، مما أظهر تعارضاً بين نية الناس في التقرب إلى الله، والنتائج السلبية التي نتجت عن هذه التجمعات انتشار الوباء[1].

وقد روي عن شيخ الفاضل أن ثلة من علماء وضعوا أدعية مخصوصة لاستنزال الرحمة أثناء الطاعون، ثم ذكر حادثة عجيبة لرجل تقي أبصر النبي الكريم (ص) في رحاب جامع بني أمية، حيث اجتمع الناس حوله يستغيثون طالبين رفع البلاء فأهداهم الحبيب المصطفى هذا الدعاء العظيم "يَا وَدُودُ، يَا وَدُودُ، يَا ذَا الْعَرْشِ الْمَجِيدِ، يَا مُبْدِئُ، يَا مُعِيدَ، يَا فَعَّالًا لِمَا تريد أسألك بِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ الَّذِي مَلَأَ أَرْكَانَ عَرْشِكَ، وَبِقُدْرَتِكَ الَّتِي قَدَرْتَ بِهَا عَلَى خَلْقِكَ، وَبِرَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، أَنْ تَرْفَعَ عَنَّا هٰذَا الْوَبَاءَ"[2].

فهذه النازلة الفقيه تبرز كيف شكل الوباء منعطفاً دينياً واجتماعياً، حيث تجسدت في هذا الدعاء روح الالتجاء إلى الله تعالى بصفاته الكمالية مع ما أثاره من حوار فقهي حول مشروعية مثل هذه الأدعية المستجدة في الأزمات.

ينقل لنا المصدر التاريخي "فتاوى قاضي الجماعة" لأبي القاسم سراج الأندلسي خلال القرن 6هـ/ 12م رأي للإمام اللخمي توفي سنة(ت478هـ/1088م) في مسألتين متلازمتين منها ضحايا الأوبئة ومسألة

[1] أحمد السعداوي، المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون، المرجع السابق، ص137.

[2] محمد المواق ومحمد الرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تح، محمد حسن، دار المدار الإسلامي، ط1، 2007، ص120.

السفر إلى المناطق الموبوءة حيث يرى أن الحكم في هذه الحالات يجب على أساس الاستعداد للموت واحتساب الأجر[1].

كما أسهم الفقهاء وعامة الناس في مواجهة الطاعون عبر وسائل وقائية وعلاجية وقد ذكر المتأخرون من العلماء ثلاث وسائل رئيسية للتوسل إلى الله تعالى لرفع البلاء وكشف الكرب العظيم وهي[2]:

- **الوسيلة الأولى**: الدعاء كما رجح غير واحد من شيوخ المذهب خلافاً لبعض المنابذين الذين كرهوا ذلك.
- **الوسيلة الثانية**: كثرة الصلاة على النبي (ص).
- **الوسيلة الثالثة**: الصلاة لمن في السنن أن النبي(ص) كان إذا أهمه أمر فزع إلى الصلاة.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن الطاعون أفرز لنا سلسلة من الأزمات المتلاحقة التي أثرت بعمق في مختلف جوانب الحياة في الأندلس، فكانت هذه الآثار وتداعياتها المعقدة في مختلف الجوانب سواء الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ساهمت في تسريع انهيار الحضارة الأندلسية، وكشفت عن ضعف البنية التحتية، وقد مهد ذلك الطريق لسقوط غرناطة لاحقًا، في ظل تصاعد هجمات النصارى عليها، باعتبارها آخر معقل للمسلمين في الأندلس.

[1] أبو قاسم بن سراج الأندلسي، فتاوى قاضي الجماعة، تح، محمد أبو الأجفان، دار الكتب الوطنية، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة، 2000م، ص154.

[2] أبو عبد الله ابن الأزرق، بدائع السلك في طبائع الملك، تح، علي سامي النشار، دار السلام، ج2، ط1، القاهرة، مصر، 2008، ص538-539-540.

خاتمة:

خاتمة:

خلال دراساتنا التحليلية الشاملة للطاعون 749هـ/1348م، الذي اجتاح الأندلس كعاصفة كارثية قلبت موازين الحضارة في آخر معاقلها الإسلامية توصلنا من خلال هذه أبحاث إلى نتائج تجسد التفاعل المعقد بين الكوارث الطبيعية والأنساق الحضارية، فبعد تشريح جذور الوباء من آسيا إلى حوض المتوسط، وصولاً إلى موانئ غرناطة المكتظة، وتباين استجابة المجتمع الأندلسي بمزيج من الحكمة الطبية والإيمان الديني، انكشفت لنا صورة مركبة تظهر كيف تحول الوباء من حدث كارثي إلى أزمة وجودية عصفت بكل مكونات الحياة وفيما يلي أبرز الاستنتاجات التي انبثقت من هذه الرحلة البحثية:

ظهر الطاعون في الأندلس عام 749هـ/ 1348م كالموجة العالمية للطاعون الأسود، الذي يعرف علمياً بمرض تسببه بكتيريا اليرسينية الطاعونية (yersinia pestis)، المنتقلة عبر براغيث القوارض، حيث دخل عبر موانئ مثل مالقة مع سفن التجارة، كما شهدت الأندلس عدة أوبئة خلال سنوات مختلفة كادت أن تعصف بها.

وتنقسم أنواعه إلى ثلاثة منها الطاعون الدبلي الذي يتميز بتورم العقد اللمفاوية وهو الأكثر انتشاراً والطاعون الرئوي فهو يصيب الجهاز التنفسي ويعد أشد فتكاً أما طاعون التسممي فهو يسبب تسم الدم ويؤدي للوفاة السريعة .

ومن بين الطواعين الكبرى تمثلت في طاعون جستنيان (541_549م) والذي ضرب الإمبراطورية البيزنطية، ووصل مصر والشام، وأباد نصف سكان القسطنطينية، أما طاعون عمواس(638م)تفشى في بلاد الشام ، وسمي بعمواس، أودى هو الأخر بحياة آلاف بما فيهم صحابة مثل أبو عبيدة بن الجراح، وصولا إلى الطاعون الأسود(1347_1351م) والذي اجتاح أوروبا وآسيا وشمال إفريقيا، أما طاعون الأندلس(749هـ/1348م)وصل عبر موانئ الأندلس مثل مالقة من سفن تجارية إيطالية وصقلية.

طبق الأندلسيون عزل المرضى، ومنع السفر بين المدن، وحرق ملابس الموتى، كما استخدموا الأعشاب بفعالية محدودة، واختلفت تفسيرات العلماء المسلمين بين الدينية والتي اعتبرت الطاعون اختباراً إلهياً أو رحمة للشهداء، مع تطبيق نصائح الوقاية الشرعية كالهجرة من المناطق الموبوءة، والعلمية التي سببته البكتيريا التي تنقلها براغيث الفئران.

خلف الطاعون العديد من التداعيات العميقة والعظمى على بلاد الأندلس ، شملت جميع جوانب الحياة اقتصادياً أدى الوباء إلى إنهيار شبه كامل للأنشطة الإنتاجية، بالإضافة إلى تدهور الإنتاج الزراعي والحرف اليدوية وتوقفت التجارة الداخلية والخارجية، مما تسبب في أزمة معيشية حادة تمثلت في ارتفاع مهول للأسعار ونقص حاد في السلع الأساسية.

أما اجتماعياً فقد تمثل في فقدان الأندلس ما يقارب ثلث سكانها مما أدى تفكك البنية الاجتماعية وتشريد الأسر وانتشار اللصوصية وظاهرة التسول، كما شهدت المدن الأندلسية هجرات جماعية أفزعت العديد من المراكز الحضارية من سكانها.

أما في الجانب الثقافي، فقد كان للطاعون آثار مدمرة، حيث توفي عدد كبير من العلماء والفقهاء، وتراجع نشاط العديد من المؤسسات التعليمية. كما توقفت المشاريع الفكرية والعمرانية الكبيرة، مما أضعف الحركة الثقافية والعلمية التي كانت تشتهر بها الأندلس، ومع ذلك، أنتجت هذه الكارثة أيضا أدباً خاصاً بالوباء، مثل كتابات ابن الخطيب وابن خاتمة، التي وثقت تجربة الطاعون وقدمت أفكاراً طبية واجتماعية جديدة ومبتكرة.

كان الطاعون 749هـ/ 1348م نقطة تحول في تاريخ الأندلس، حيث كشف عن هشاشة النموذج الحضاري في مواجهة الكوارث، فيما خلف دماراً عمرانياً. وظهرت العديد من النوازل الفقهية المتعلقة بالطاعون في الأندلس والمغرب الإسلامي خلال فترات تفشي الأوبئة، وخاصة خلال طاعون 749هـ.

الملاحق:

-

الملحق : 01[1] : ذروة الطاعون الجارف (749-750 هـ / 1348-1349م)

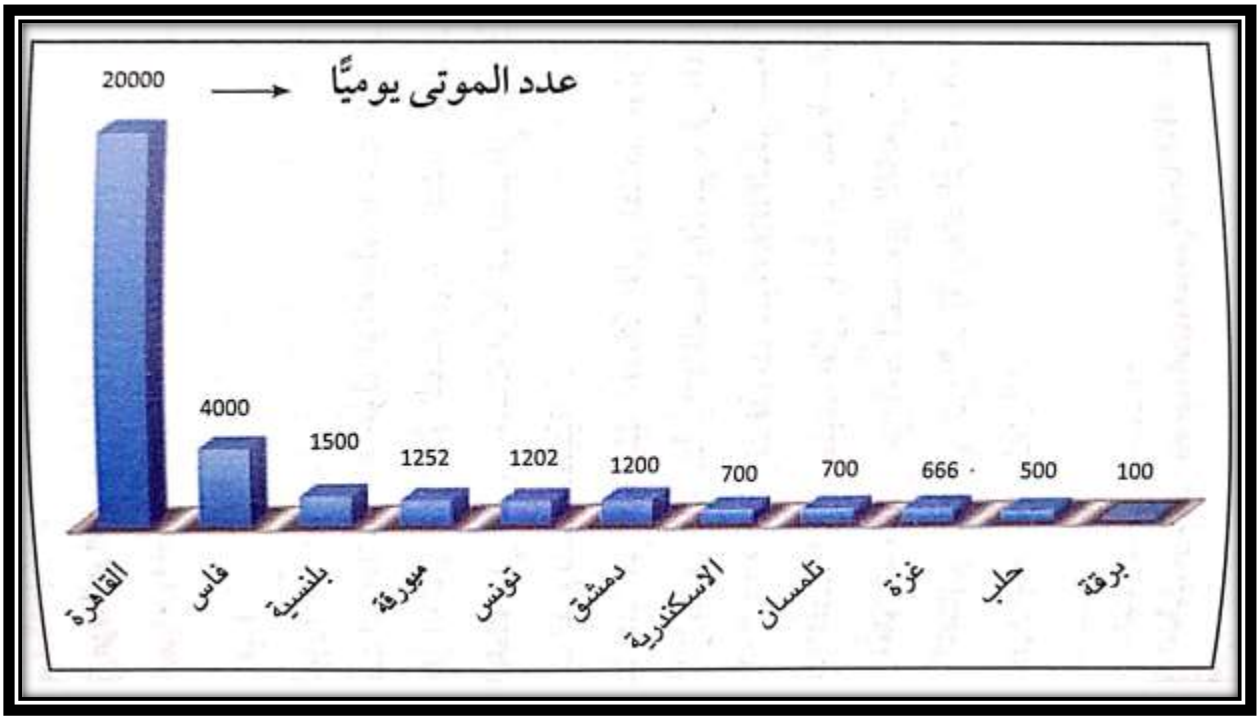

[1]- محمد حسن ، مقدمة المحقق، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر السابق، ص50.

الملحق 02: [1] انتشار الوباء في العالم

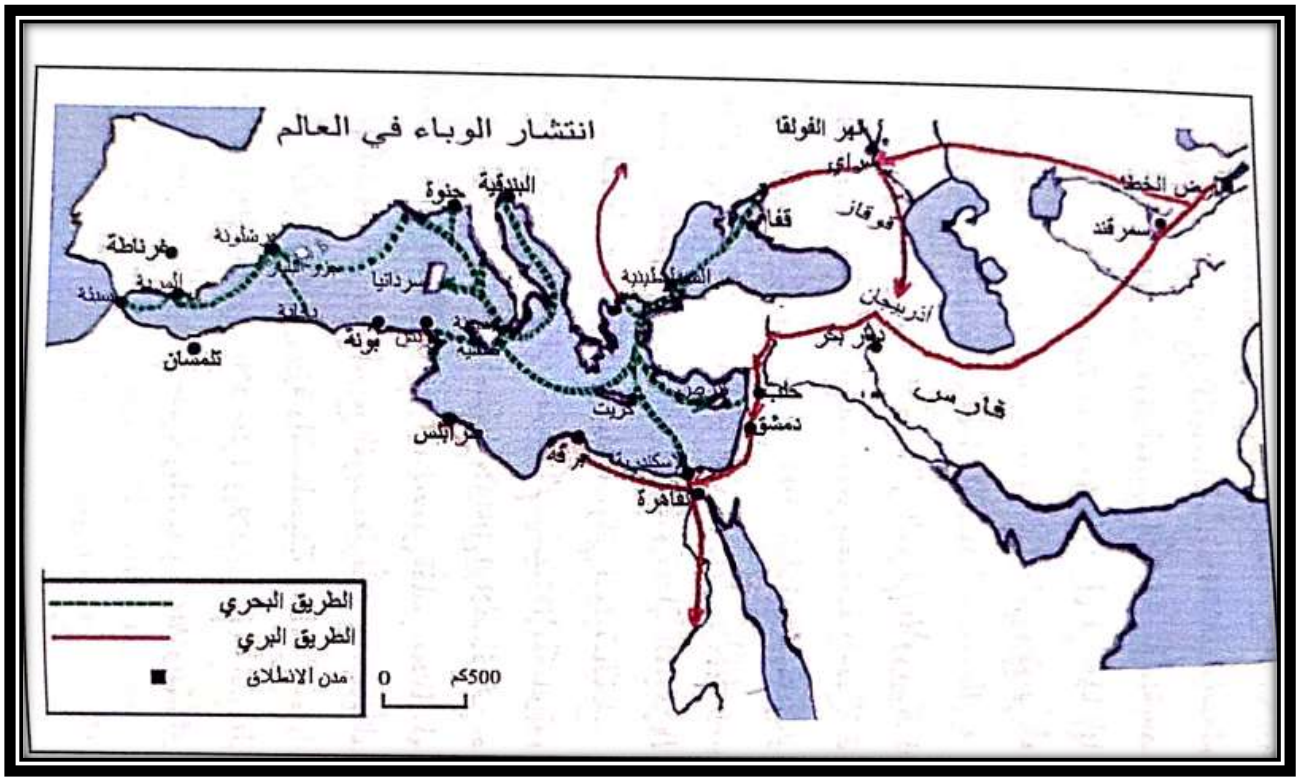

[1]– محمد حسن ، مقدمة المحقق، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المصدر نفسه، ص53.

الملحق: 03[1]

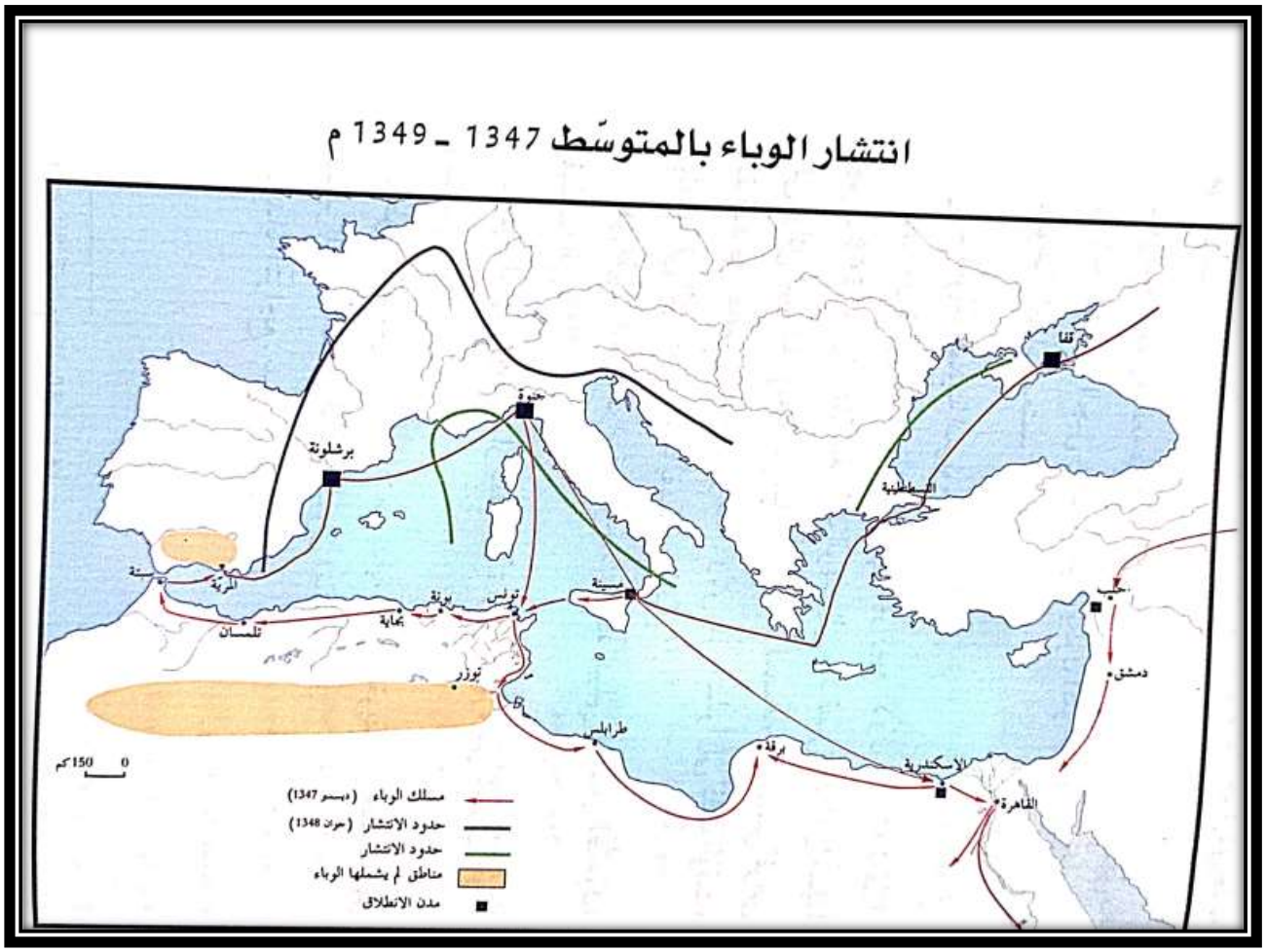

[1]– محمد حسن ، مقدمة المحقق، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، نفسه، ص57.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

أولا: كتب الصحاح:

1. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ابن إبراهيم الجعفي(ت256هـ/870م)، صحيح البخاري وهو الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه، تح، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، 1422 .

2. صحيح البخاري ، جمعية البشرى، المجلدالأول، دم، دت.

ثانيا: المصادر :

1. الإدريسي أبو عبد الله الشريف محمد بن محمد الحمودي(ت560هـ/1164م)، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، ج2، القاهرة، 2002/1422.

2. إسرائيلي إسحاق بن سليمان(ت320هـ/932م)، الأغذية والأدوية، تح، محمد الصباغ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1992.

3. الأشبيلي أبو الخير، عمدة الطبيب في معرفة النبات، تح، محمد العربي الخطابي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ط1، بيروت، 1995.

4. ابن أبي أصيبعة موفق الدين أحمد بن القاسم الخزرجي(668هـ/1263م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ضبطه، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ت.

5. ابن أبي الأزرق أبو عبد الله(ت896هـ/1491م)، بدائع السلك في طبائع الملك، تح، علي سامي النشار، دار السلام، القاهرة، مصر، 2008.

6. ابن الأثير الجزري مبارك بن محمد(ت606هـ/1210م)، تح، أحمد زادا، محمد الطناجي، المكتبة الإسلامية، ج3، دم، د ت

7. الأنطاكي الشيخ داود بن عمر، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، تح، أحمد فريد المزيدي، بيروت، لبنان، د ت.

8. ابن الأنصاري زكريا محمد، منحة الباري بشرح صحيح البخاري، تح، عبد القادر قراج، وزارة الإرشاد والأنباء، ج1، الكويت، 1955.

9. الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف(ت474هـ/1081م)، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، مصر، 1332.

10. ابن بشكوال أبي القاسم، الصلة، تح، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ج1، ط1، 1989.

11. ابن بطوطة محمد بن عبد الله(ت 779هـ/1377م)، رحلة ابن بطوطة في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دح، دار القلم، بيروت ، لبنان، د ت.

12. البغدادي إسماعيل باشا(ت1920م)، هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، مكتبة المثنى دم، 1947.

13. البغدادي صفي الدين عبد المؤمن(ت597هـ/1200م)، مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تح، علي محمد البجاوي دار الجبل، بيروت، 1992.

14. البغدادي شهاب الدين أبي ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، معجم البلدان، ج4، بيروت، د ت.

15. بروفنسال ليفي، ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب، مطبعة المعهد العالي الفرنسي ، القاهرة، 1955.

16. التوزي أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، ج1، بيروت، 1971.

17. ابن القيم الجوزية شمس الدين محمد بن أبي بكر(ت751هـ/1350م)، الطب النبوي، تح، عبد الغني عبد الخالق وآخرون، دار الفكر، بيروت، لبنان، دت.

18. الجوهري أبو نصر إسماعيل بن حماد، الصحاح، تح، أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، ط4، بيروت، 1407هـ/1987م.

19. ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي(ت852هـ/1449م)، بذل الماعون في فضل الطاعون، تح، أحمد عصام عبد القادر الكاتب، دار العاصمة، الرياض، السعودية، د ت.
شرح صحيح البخاري، تح، عبد العزيز بن باز، دار الفكر، دم، 1440، 1441 هـ.

20. ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد (ت456هـ/1064م)، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تح، إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1987.

21. الحميري أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم(ت900هـ/1495م)، صفة الجزيرة منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، لافي بروفنصال، دار الجبل ، ط2، بيروت، لبنان، 1989، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح، إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1975.

22. حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله (ت1067هـ/1657م)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح، محمود شرف الدين، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د.ت.

23. ابن حيان القرطبي أبو مروان(ت469هـ/1076م)، المقتبس، اعتنى بنشره، شالميتا، الرباط، المغرب، 1979.

24. الحجي عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة(92_897هـ/711_1499م)، دار القلم، دمشق، بيروت، 1982

25. أبو خليل شوقي، مصرع غرناطة أبو عبد الله الصغير آخر ملوك غرناطة، ط2، دار الفكر، دمشق، 1988

26. ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله(ت776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح، محمد عبد الله عنان ، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1977، اللمحة البدرية في الدولة النصرية ، تح، محب الدين الخطيب، القاهرة، 1347، مقنعة السائل عن المرض الهائل، تحقيق وتقديم، حياة قارة، دار الأمان، الرباط، 2015، مقنعة السائل عن المرض

الهائل، تح، محمد حسن، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، بيت الحكمة، تونس، 2013، معيار الاختيار في ذكر معاهد الديار، تح، محمد كمال شبانة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002.

27. ابن خاتمة الأنصاري(ت770هـ/1369م)، تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد، ضمن ثلاث رسائل أندلسية، تح، محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2013.

28. ابن خلدون عبد الرحمن، (ت808هـ/1406م)، مقمة ابن خلدون العبر وديوان المبتدأوالخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، اعتنى به، عادل سعد، ج1، دن، د ت.

29. الدمشقي شهاب الدين أحمد بن يحي(ت749هـ/1348م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح، حمزة أحمد عباس، المجمع، الثقافي، أبو ظبي، الإمارات، 2002.

30. الرازي محمد بن عبد القادر، مختار الصحاح، تح، يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط5، مطبعة الأميرية، القاهرة، 1325هـ/1120م، بيروت ، لبنان، 1992.

31. ابن أبي زرع علي بن عبد الله كان حياً(729هـ/1328م)، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح، كارل يوحنا توربرغ، دار النشر المدرسية، السويد، 1843.

32. ابن زهر بن محمد بن مروان الإيادي الأندلسي، التيسير في المداواة والتدبير، تح، أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971، النشاط والقوة في الأغذية ، وضع حواشيه، محمد أمين الضناوي دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1، بيروت، لبنان، 1419هـ/1998م.

33. الزهراوي أبو عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجعرافية، تح، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، دم، دت

34. ابن سراج الأندلسي أبو القاسم(ت 500هـ/1106م)، فتاوى قاضي الجماعة، تح، محمد الأجفان، دار الكتب الوطنية، الإمارات، 2000.

35. ابن سعيد المغربي علي بن موسى(ت685هـ/1286م)، المغرب في حلي المغرب، تح، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1964.

36. ابن سينا الحسين بن عبد الله(ت428هـ/1037م)، القانون في الطب، تح، محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1999.

37. السيوطي جلال الدين عبد الرحمن(ت911هـ/1505م) ، رواه الواعون في أخبار الطاعون، تح، محمد علي البار، دار القلم، دمشق، دت.

38. السرمري أبو مظهر جمال الدين يوسف بن محمد، كتاب ذكر فيه الوباء والطاعون تعليق وتخريج: شوكت بن رفقي، الدار الأثرية، 1424هـ/2004م.

39. الشقوري أبو عبد الله محمد بن علي اللخمي، النصيحة، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، تح، محمد حسن، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 2013.

40. الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد ، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح، الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

41. ابن أبي الصفاء زين الدين عبد الباسط، نيل الأمل في ذيل الدول، تح، عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 2002.

42. العيني بدر الدين(ت855هـ/1451م)، عمدة القاري بشرح صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي، دن، دم، ج21، دت.

43. ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن (ت571هـ/1176م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، تح، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

44. ابن عذارى أبو العباس أحمد كان حياً(712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح، كولان ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983.

45. علي الجزنائي، جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تح، عبد الوهاب ابن منظور، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1411، 1991.

46. ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، تح، إبراهيم الابياري ، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ج1، ط2، 1989.

47. ابن القنفد القسنطيني أبو العباس (ت810هـ/1407م)، الوفيات، تح، عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1983.

48. ابن القطان، نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان، دح، د ط، دن، دم، د ت.

49. القزويني زكريا محمد بن محمد ، أثار البلاد وأخبار العباد، دح، دار صادر، الدار البيضاء، بيروت ، د ت.

50. القلقشندي أحمد بن علي(ت821هـ/1418م)، صبح الأعشى فس صناعة الإنشا، المكتبة الأميرية، القاهرة، دت.

51. ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك (ت530هـ/1136م)، الاكتفاء في أخبار الخلفاء، تح، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

52. الكنون عبد الله(ت1989م)، النبوغ المغربي في الأدب العربي، دح، دن، ج1، دم، د ت.

53. 41الكرمي مرعى بن يوسف (ت1033هـ/1624م)، ما يفعله الأطباء والداعون بدفع شر الطاعون، تقديم: خالد العربي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 2000.

54. المقري التلمساني أحمد بن محمد(ت693هـ/1294م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح، إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988.

55. المقريزي تقي الدين أحمد بن علي(ت845هـ/1442م)، لمعرفة دول الملوك، تح، محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، دت.

56. المكناسي أحمد بن القاضي(ت1025هـ/1616م)، جذوة الإقتباس في ذكر من حلا من الأعلام مدينة فاس، دار المنصورة، الرباط، المغرب، 1973.

57. المواق محمد ومحمد الرصاع، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية، تح، محمد أبي الحسن، دار المدار الإسلامي، دم، 2007.

58. النهوري سالم بن محمد عز الدين المصري، تيسير الملك الجليل لجمع شروح وحواشي خليل في الفقه المالكي، تح، عبد المحسن العتال، ج5، دط، د ت.

59. ابن النفيس علاء الدين علي بن أبي الحزم، (1288/687م)، الصيدلة المجربة، المعروف ب، الموجز في الطب ماجربه ابن النفيس من قانون الرئيس ابن سينا، تح، محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د ت.

60. الناصري أبو العباس أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، ج3، المغرب، 1954.

61. محمد حسن، مقدمة المحقق، ضمن ثلاث رسائل أندلسية في الطاعون الجارف، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة ، تونس، 2013.

62. ابن الوردي، عمر بن محمد (ت749هـ/1349م)، منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والرباحين، تح، محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، د.ت

ثالثا: المراجع:

1. آل برجل أحمد سيد حامد، 1000 معلومة عن الأندلس الفرردوسالمفقود، دارالفضيلة، القاهرة، دت.

2. ابن خلدون، البحر المتوسط في القرن الرابع عشر، قيام وسقوط إمبراطوريات، دن، د ط، الإسكندرية، مصر، 2007.

3. الأزهري محمد ويدوس سيمبوالبوغيسي، عواصف الأوبئة القاتلة من الطاعون إلى فيروس كورونا 19-covid، (دراسة موضوعية في فقه الحديث والتاريخ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1971العلمية، بيروت، 1971.

4. البرزنجي، الحسيني، محمد رسول، الأشاعة لأشراط الساعة ، تح، محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت، لبنان، 1971

5. البزاز، محمد الأمين، تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دار النجاح، الرباط، 1992.

6. البياض عبد الهادي، الكوارث الطبيعية وأثرها في سلوكيات وذهنيات الإنسان في المغرب والأندلس(ق6_8هـ/12_14م)، دار الطليعة، ط1، 2008.

7. البهجي إيناس حسني، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، ، دط، د ت.

8. بوباية عبد القادر، البربر في الأندلس وموقفهم من فتنة القرن الخامس الهجري، دن، دت

9. بولقطيب الحسين، جوائح و أوبئة مغرب عهد الموحدين، منشورات الزمن، دط، دم، د ت.

10. الجعفري ياسر غازي الشمري، الطبيب ابن زهر الأندلسي رائد التجريب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1971.

11. الجيوسي سلمى خضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس مركز الدراسات الوحدة العربية، ط1، ج2، بيروت، لبنان، 1998.

12. الحضاري حسن علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1980.

13. رابحي رضوان ، الموت والصلاة الرمزية بين الأحياء والموتى بالغرب والأندلس أبان العصر الوسيط، تقديم ، د. مصطفى نشاط، دار الكتب العلمية، دون طبعة، بيروت، لبنان، 1971.

14. السمري عبد العزيز، مواجهة الأوبئة، دن، دط، دم، د ت.

15. السماوي ابن صريم ، تاريخ الأوبئة والطواعين أهوال مخيفة وحوادث مرعبة، دار الإيمان المتحدة، دط، دم، د ت.

16. السيوطي خليفة أشرف ، الأحكام الفقهية المتعلقة بفيروس كورونا، دارالؤلؤة، المنصورة، مصر، د ت.

17. سريلانكا أبو عبد الرحمن أحمد بن محمد، عظماء ماتوا بالأوبئة، دن، د ت.

18. سامعي إسماعيل، تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي، دط، د ت.

19. شعبان، خلف الله، الأمراض السارية التي تنتقل إلى الإنسان من الحيوانات ومنجاتها الأمراض البكتيرية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دت

. الميكروبات والحروب البيولوجية، دار اليازوري، دم، دت.

20. ابن شقرون محمد بن أحمد ، مظاهر الثقافة المغربية، دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1406هـ/1985م.

21. عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، العصرالثالث، عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1990

22. عاشور، مروة محمد عبد الرحيم، تأثير الصحة والبيئة على المجتمع الأندلسي، دن، د ط، د م، د ت.

23. العبيدي خالد فائق، لسنا بمأمن، دن، دم، د ط، د ت.

24. العدوي، أحمد، الطاعون في العصر الأموي، دن، د ط، د ت

25. فتحي عبد العال، تأملات بين العلم والدين والحضارة، دار الميدان للنشر والتوزيع، دط، د ت.

26. القرضاوي يوسف، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، ط1، القاهرة 1421هـ.

27. القادري بوتشيش إبراهيم

- ظاهرة التسول في المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين، دون دار النشر، دون مكان نشر (مكناس)، دن، د ت، مكناس، د ت
- مباحث في التاريخ التاريخ الاجتماعي للمغرب والأندلس خلال عصر المرابطين، دار الطليعة، بيروت، دت

28. الكركجي نغم عدنان أحمد، الأزمات الاقتصادية في الأندلس من الفتح حتى سقوط غرناطة(91-897هـ/711-1492م)، دار الكتاب الثقافي، دط، د ت.

29. الكيلاني نجيب، الغذاء والصحة، المكتبة الصحية، دم، دت.
30. المغراوي محمد، الموحدون وأزمات المجتمع، جذور النشر، ط1، 2006.
31. مجموعة من العلماء، الموسوعة العربية العالمية، بيروت، لبنان، 1971

رابعا: المعاجم:

1. ابن منظور جمال الدين، لسان العرب، دح: دار صادر، ط3، ج13، بيروت، لبنان، د.ت.
2. الأيادي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي، القاموس المحيط، تح: مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة، ط6، دمشق، 1997.
3. خياط يوسف، معجم المصطلحات العلمية والفنية، عربي، فرنسي، إنجليزي، لاتيني، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، دت.

خامسا: المراجع المعربة:

1. جوتفيرد، روبرت، س، الموت الأسود، جائحة طبيعية وبشرية ففي عالم العصور الوسطى، ترجمة وتقدير، أبو أدهم عبادة كحيلة، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2017.

2. بيرن، جوزيف، الموت الأسود، ترجمة عمر سعيد الأيوبي، الإمارات العربية المتحدة، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، ط1، 2014.

سادسا: المجلات و الدوريات:

1. أبو بكر حسيني عيسى أحمد سرحان، "طاعون جستنيان ومصر الإمبراطورية الرومانية(541_750)"، جامعة القاهرة، العدد الأربعون، الإصدار الأول، الجزء الرابع، 1446هـ/2021.
2. أبو تراب تغريد قاسم محمد، "الآثار الاقتصادية لظاهرة التسول في العراق وطرق معالجتها "مجلة دراسات في الاقتصاد وزارة الأعمال، المجلد04، العدد02، ديسمبر، 2021.
3. أحمد السعداوي "المغرب الإسلامي في مواجهة الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين" ،مجلة دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس
4. أحمد صالح محمد عبد الغني، "دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس في عصري المرابطين والموحدين"، مجلة دور الدولة والمجتمع في مواجهة وباء الجذام في المغرب والأندلس.
5. أميمة حسن المهدي، "الأوبئة بين التفسيرات الدينية قراءة في المصادر المملوكية في القرن الخامس عشر الميلادي"، حوليات إسلامية58.
6. إسماعيل حامد إسماعيل علي "طاعون أواخر القرن السابع للهجري وأثره في بلاد المشرق الإسلامي"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.
7. بقرار منير، "أثر الطاعون على الوضع الديموغرافي والاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي مقارنة تاريخية(749هـ/1348م)"،مجلة الأفاق الفكرية،2021،المجلد9،العدد02
8. جميلة بختيتان الحربي،" الأيدي العاملة في غرناطة بني الأحمر ودورهم في الإرتقاء بالحرف والصناعات"، مجلة شرق الأوسط، العدد الثالث والأربعون
9. رشيد يماني، "تداعيات وباء منتصف القرن الثامن الهجري على الحياة الفكرية في مملكة غرناطة" مجلة الجزائرية والدراسات التاريخية المتوسطية،2015،العدد الثاني،شتاء،1436هـ

_"مواقف أطباء مملكة غرناطة من وباء منتصف القرن الثامن الهجري "، دورية كان التاريخية، السنة الثانية عشرة، العدد الثالث والأربعون،مارس،2019

10. الكاملة فرحات، "وباء الطاعون وتأثيره على البنية الاجتماعية الجزائرية خلال الحقبة العثمانية"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، المجلد06، العدد02، أكتوبر، 2022.

11. المحلاوي حسام محمود، "الطاعون الأسود 748هـ-752هـ/1347م-1351م بين الطبيب الأندلسي ابن خاتمة الأنصاري(ت770هـ/1369م)" وجامعات وأطباء أوروبا دراسة وثائقية مقارنة، مجلة وقائع التاريخية، عدد يوليو، 2020.

12. إسراء محمد أحمد معوض، "الزراعة في مملكة غرناطة في ضل بني الأحمر(798-635هـ/1238-1492م)، جامعة عيم شمس، العدد الثامن عشر، الجزء الرابع2017.

13. البشير بوقاعة، "التأثير الحضاري الأندلسي على فن العمارة الإسلامية بالجزائر"، الحدائق والمنتزهات انموذجا، دراسات تراثية، المجلد07، العدد01.

14. بكارة عفاف بوتفاني محمد "الجيش الغرناطي في عصر بني الأحمر (627-897هـ/1232-1492م)"، مجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد5، العدد9، جوان 2019.

15. بلجة عبد القادر "مملكة غرناطة النصرية في مواجهة الطاعون في القرن 8هـ/14م"، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، المجلد3، العدد2، سبتمبر، 2022.

16. جمال بوطي "وباء الطاعون الأسود وانعكاساته على المجتمع الجزائري خلال القرنين 14 و15م"، مجلة آفاق الفكرية، المجلد09، العدد02، خاص 2021.

17. خديجة خيري، عبد الكريم خيري "الأوبئة والطواعين في مملكة غرناطة للطاعون الجارف انموذجاً"، مجلة للعلوم الإنسانية والحضارة، 2011.

18. شخوم سعدي "منظومة العلاج في المعرفة الطبية الصحية بتلمسان الوسيطية"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية، المجلد07، العدد02، ديسمبر، 2021.

19. شيماء عبد الحميد البنا، "المجاعات والأوبئة بالأندلس وأثارها في ضوء المصادر العربية بالفترة من 138هـ/756م، 422هـ/1031م"، حولية كلية للغة العربية، العدد الثالث والثلاثون.

20. شامخ زكريا علاونة، سقوط مملكة غرناطة(896هـ/1492م)، مجلة الإنسان والمجال، المجلد5، العدد9، ديسمبر، 2019.

21. طيطح نصيرة، تاريخ الأوبئة والمنظمة العالمية للصحة(LONS)، مجلة سلسلة الأنوار، المجلد12، العدد1، 20ماي 2022.

22. عباس رشيد، "النظام الغذائي زمن المجاعات والأوبئة"، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، المجلد04، العدد08، ديسمبر، 2018.

23. عبيد بوداوود، "تلمسان في مواجهة الحملات الحفصية المرينية"، مجلة عصور، عدد6_7، جوان_ديسمبر2005م/ذو القعدة1426هـ.

24. عبد الرحمن بلاغ، "التراث الطبي بالأندلس رسالة تحقيق نبأ في أمر الوباء للشقوري كان حياً 776هـ نموذجاً"، مجلة المعيار، 2021.

25. عز الدين الدرسي، فتيحة ميمون الطيب، "انتشار الطاعون في أوروبا في العصر الوسيط(1347-1352م)"، مجلة كلية الآداب، العدد 51، ديسمبر، 2021.

26. عثمان سال طارق زركاغ، "الأوبئة بالغرب الإسلامي بين المعالجة الفقهية والانعكاسات الاجتماعية والاقتصادية" الجذام والطاعون انموذجا، دورية كان التاريخية، السنة السادسة عشرة، العدد الثاني والستون، ديسمبر 2023.

27. فؤاد بن أحمد عطاء الله

ـ "فهرس المؤلفات في الطاعون دراسة بيلوغرافية"، مجلة الاجتهاد للدراسات القانونية والاقتصادية، 2020.

ـ "يوسف بن محمد بن مسعود السرمري الحنبلي مخطوط زمن الوباء والطاعون"، مجلة رفوف، المجلد08، العدد الثاني.

ـ"مخطوط عن الوباء للإدريسي بن حسام الدين البدليسي الحنفي(ت930هـ)"، مجلةالحوار الثقافي، المجلد، 09، العدد، 02.

ـ"خلاصة ما رواه الواعون في الأخبار الواردة في الطاعون لمحمد بن عبد العظيم الحمصي الشافعي المشهور بابن عتيق الحمصي (ت1088 هـ)" مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، المجلد 15، العدد 1 ، السداسي الأول ، 2020- 2021م،

28. قطب خالد "التأسيس المعرفي لنظرية العدوى عند ابن خاتمة الأنصاري"، مجلة أنساق، المجلد السادس، العدد الأول، 2022.
29. مليكة عدالة فاطمة بلهواري، "المرض وأعراضه عند عامة الأندلس في العصر الموحدي"، مجلة عصور، العدد28_29، جانفي، جوان، 2016.
30. موسى رجب عبد المجيد عبد الحي ، "طاعون جنستيان (541-543م)وأثاره على الدولة والمجتمع في الإمبراطورية البيزنطية"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية.

سابعا: رسائل الجامعية:

1. تريكي فتيحة النباتات النفعية ومجالات استخدامها ببلاد الأندلس خلال العصر الوسيط، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، علوم في التاريخ الوسيط، بإشراف، عبد القادر بوباية، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2021/2020.

2. تواتية بودالية، البيئة في الأندلس عصر الخلافة وملوك الطوائف، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط الإسلامي، بإشراف، فاطمة بلهواري، ،كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، قسم التاريخ، جامعة مؤتة، وهران، 2014/2013.
3. عبد الكريم حمامتيت، علماء الغرب الإسلامي في عصر بني الأحمر دراسة في أحوالهم الاجتماعية ودورهم في إنقاذ مملكة غرناطة، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الحضارة الإسلامية، بإشراف، سامية جباري، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر01، 2021/م2022.
4. عبده عواجي عبد القهار، علاقات مملكة غرناطة مع الدول الإسلامية 631_897م، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الإسلامي، بإشراف، سعد بن عبد الله البشري، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، جامعة أم اقرى، المملكة العربية السعودية، دت.
5. محمد صديقي، الأمراض والخدمات الصحية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين 6_7ه/11و13م، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه بالتاريخ الوسيط، بإشراف، عاشور يقمعون، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة الشهيد حمى لخضر، الوادي، 2021/2020م.
6. ناصر عليش، الحياة الاجتماعية لطبقة الحجاب والوزراء بالأندلس في عهد ملوك الطوائف(5ه/11م)، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه(ل م د)، الطور الثالث، في تاريخ وحضارة الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، توفيق مزاري عبد الصمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة، يحي فارس المدية، 1443_1444م/2022_2023م.
7. أحمد جميات، مملكة بني الأحمر في الأندلس وعلاقاتها بالممالك المسيحية (635-897ه/1230-1492م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط،

بإشراف، سامية أبو عمران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2011-2012م.

8. بن عسلون زهرة، بلهزيل جيهاد، المرض والوباء من خلال المؤلفات الطبية بالغرب الإسلامي القرنين(4هـ_8هـ/10_14م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر، الطور الثاني، بإشراف، شرقينوارة، في تاريخ الغرب الإسلامي الوسيط، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2020_2021م.
9. بولقدام ناصرية، كيحل عومرية، المنظومة الصحية ف بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين 2_4هـ/8_10م، مذكرة مكملة لاستكمال متطلبات الماستر، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، عليلي محمد ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة ابن خلدون، تيارت، 1444-1445هـ/2023-2024م.
10. بلهوشات عايدة، الزراعة في الأندلس 138هـ_546م/755هـ_1151م، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ العام، بإشراف، عطابي سناء، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة 08ماي 1945، قالمة، 2013_2014م
11. حسن لزنك، الجوانب الإجتماعية في غرناطة من خلال كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة لابن الخطيب ما بين القرن(6_8هـ/11_14م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، بإشراف، عليزيان، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد لخضر، بسكرة، 2022_2023م.
12. درفلو إسماعيل بن جدو سميرة، دور مملكتي قشتالة وأراغون في إسقاط مملكة بني الأحمر(836_897هـ/1432_1492م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، مغنية غرادين، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2021_2022.
13. سعداوي نصيرة، سلماني هاجر، المنظومة الصحية ببلاد الأندلس، دراسة في الإجراءات والتدابير المتخذة لمجابهة الأمراض والأوبئة خلال العصر الوسيط، مذكرة مقدمة ضمن

متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي، بإشراف، لكحل مراد، قسم التاريخ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، جامعة بوضياف المسيلة، دت

14. طيباوي أم هاني ، مويسي تركية، تاريخ وباء الطاعون في الأندلس على عهد بني الأحمر(749هـ/1348م)، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في التاريخ ، تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، بإشراف، طاهر بن علي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة غرداية، 2019_2020م.

15. فايزة ميلي أم الخير عثمان، النشاط الإقتصادي لغرناطة في ظل بني الأحمر(635_897هـ/1312_1492م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2022_2023م.

16. فتيحة فليح عبد الكريم نجار، الأمراض والخدمات الصحية في مناطق مختارة من محافظة رام الله والبيرة(دراسة في الجغرافيا الطبية)، قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الجغرافيا، بإشراف، أديب الخطيب، عصام أحمد الخطيب، كلية الدراسات العليا جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، 2008م.

17. مزدور سمية، المجاعات و الأوبئة في المغرب الأوسط(588_987هـ/1192_1520م)، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، بإشراف، محمد الأمين بلغيث، جامعة منثوري،

18. إبراهيم بوغنامة، مباركة بورقعة، النظم السياسية والإدارية في مملكة غرناطة في عصر بني الأحمر(635_897هـ/1238_1492م)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب العربي الوسيط والحديث، بإشراف، سليم الحاج سعد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، 2017_2018م.

19. حدود داود الحسين، لسان الدين بن الخطيب(713_776هـ/1311_1374م)دراسة تاريخية ، قدمت هذه الرسالة استكمالا

لمتطلبات رتبة الإنجاز العالمية الماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، تخصص تاريخ إسلامي، جامعة بنغازي، دت.

20. سماح حرزلي، النثر الفني في كتاب ريحانة الكاتب ونجعة المنتاب للسان الدين ابن الخطيب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر، بإشراف، دحنية فاطمة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2021_2022م.

ثامنا: المقالات الأجنبية:

Renouardyves:
1_ Conséquences et intérét démographique de la peste noire de1348", Institut national d'études dénographiques, France, N3, 1948.
- Verlindencharles:
2_"la grandepeste de 1348 en Espagne. Cartribution à l'étude de ses conséquences économiques et sociales", Revue belge de philologie et d'histoire, Bruxelles Belgique, T :17, N1-2, 1938

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات:

شكر و تقدير

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة: 1

مدخل 12

أوضاع بلاد الأندلس قبيل تفشي طاعون749هـ 12

الفصل الأول: الطاعون بين المفهوم والامتداد

المبحث الأول: مفاهيم الطاعون: 27

المبحث الثاني: المسار التاريخي لموجة الاوبئة التي عصفت بلاد الاندلس 34

المبحث الثالث: الطواعين الكبرى حتى القرن الثامن الهجري: أنواعها ومسارها الوبائي: 41

الفصل الثاني: دراسة تاريخية في طاعون الأندلس لسنة 749 هـ / 1348م

المبحث الأول :قراءة تاريخية لطاعون في الأندلس: النشأة والأسباب..... 54

المبحث ثاني: مواجهة الطاعون في الأندلس..... 66

المبحث الثالث: رؤية العلماء المسلمين للطاعون 749هـ-1348م في بلاد الأندلس بين الدين والعلم 80

الفصل الثالث: آثار الطاعون على بلاد الأندلس

المبحث الأول: الآثار الاقتصادية 87

المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية 94

المبحث الثالث: الآثار الثقافية 100

خاتمة.....112

الملاحق 116

قائمة المصادر والمراجع 120

فهرس المحتويات 139

الملخص

الملخص:

طاعون 749هـ/1348م كان أحد أشد الأوبئة تدميرا في تاريخ الأندلس، خاصةً في مملكة غرناطة، أخر المعاقل الإسلامية، بدأ الوباء في أسيا الوسطى، وانتقل عبر طرق تجارة إلى الموانئ الأندلسية مثل مالقة والمرية .ساهم تلوث الهواء والمياه ، والاكتظاظ السكاني في تفشي المرض، الذي تسببه بكتيريا اليرسينية الطاعونية (Yersinia pestis). واجه المجتمع الأندلسي الوباء بإجراءات وقائية كالحجر الصحي وتطهير الأماكن، وعلاجات تقليدية كالأعشاب والفصد، بينما قدم العلماء مثل ابن الخطيب وابن خاتمة تحليلات طبيةً رائدةً ربطت بين العدوى و الوقاية.

- خلَّف الطاعون أثاراً مدمرة:
- اقتصاديًا: انهيار الزراعة والتجارة، وارتفاع الأسعار بنسبة 300%.
- اجتماعيًا: فقدان 40% من السكان، وتفكك الأسر وانتشار الجريمة.
- ثقافيًا: تراجع العلم، وظهور مؤلفات طبية (ك مقنعة السائل)، وتحول الأدب إلى الرثاء.

كلمات المفتاحية: طاعون، بلاد الاندلس، 749هـ/1348م

Abstract

The plague of 749 AH/1348 CE was one of the most devastating pandemics in the history of Al-Andalus, particularly in the Emirate of Granada, the last Islamic stronghold

Originating in central Asia, the plague spread to Andalusia ports like Màlaga and Almeria through trade routes. Factors such as air and water pollution, natural disasters and overcrowding accelerated the spread of the disease, caused by the bacterium Yersinia pestis.

Andalusian society responded with preventive measures like quarantine and disinfection, alongside traditional treatments such as herbal remedies and bloodletting, Scholars like Ibn Al-Khatib and IbnKhatima pioneered medical analyses linking infection to prevention.

- The plague left catastrophic impacts:
- Eulturally: collapse of agriculture and trade, with food prices soaring by 300%
- Socially: loos of 40% of the population, family disintegration, and rising crime.
- Culturally: decline in education, emergence of medical literature (e.g., "Magnaats Al-sa’il"), and a shift in literary Thinnest toward lamentation

Keywords : Plague,Al-Andalus, 749 AH/1348 AD